

٩/٤٧  
جمهورية مصر العربية

وزارة التربية والتعليم

بالتعاون مع

المركز القومي للبحوث التربوية والتنمية

سلسلة الكتب المترجمة (١٦)

## التربية والحضارات "مجتمعات الامس"

تأليف

لوتانه خوى

الناشر

مكتبة ناثان - باريس

بتصريح من

المكتب الدولي للتربية - اليونسكو ١٩٩٥م

تلخيص وتعليق

المركز القومي للبحوث التربوية والتنمية

٢١٩  
٥٥٤٩  
٢٦٠٩

القاهرة

١٩٩٩

٥٥٤٩



## تصدير

الاستاذ الدكتور حسين كامل بهاء الدين  
وزير التربية والتعليم

يسعدنى أن أقدم لأبنائى وزملائى من المعلمين والباحثين  
والأساتذة وكل العاملين فى مجال التربية والتعليم ، وإلى المكتبة  
العربية بصفة عامة كتاب " التربية والحضارات . مجتمعات  
الأمس " آملاً أن يستفيد منه الجميع سواء فى ممارستهم العملية أو  
إثراء معلوماتهم التربوية .

والكتاب من تأليف الفرنسية "لوتانه خوى"  
Le Thanh Khoi ، وهى تصف فيه التربية فى مجتمعات  
الأمس "الحضارات القديمة" ، سواء عن طريق ملاحظات  
الماضى أو الحاضر فى الوقت الذى شهدت فيه تلك المجتمعات  
تحولات هائلة منذ أن وطئت أقدام الاستعمار فيها .

وقد عُرِضَ ملخص الكتاب فى خمسة أجزاء ؛ المجتمعات  
الجماعية فى أفريقيا ، والثقافة البوذية والهندوسية فى آسيا الوسطى  
وجنوب شرق آسيا ، والنظام الوظيفى والاقطاع فى الصين  
واليابان، وأوروبامن عصر اليونان إلى العصور الوسطى ، وأخيراً  
الوحدة والاختلاف فى الإسلام ، وأياً كان رأى المؤلف فى الجزء  
الأخير فإنها تعبر عن وجهة نظرها الخاصة ، والتى تم تسجيلها  
سواء فى الترجمة أو التلخيص بكل أمانة .

وفى النهاية أود أن أعبر عن سعادتى مرة أخرى بإضافة هذا

الكتاب ضمن سلسلة الكتب المترجمة التي تقوم باعدادها شعبة  
بحوث تطوير المناهج بالمركز القومي للبحوث التربوية والتنمية،  
بإشراف أ.د/ عايدة أبو غريب . أقدم الشكر لها وفريق العمل  
معها لاتمام هذا العمل بصورة مشرفة .  
وتمنياتى للجميع بالتوفيق.

دكتور/ حسين كامل بهاء الدين  
وزير التربية والتعليم

أغسطس ١٩٩٩



## تقديم

الدكتورة / عايدة عباس أبو غريب

رئيس شعبة بحوث تطوير المناهج

بالمركز القومي للبحوث التربوية والتنمية

التربية والحضارات «مجتمعات الأمس» عنوان الكتاب الذى أشرف بتقديمه، والتى تسعى مؤلفته «لوتانه خوى» للتأكيد على جملة الروافد الحضارية التى أسهمت فى صياغة مفهوم ومسعى التربية فى المجتمعات الإنسانية المختلفة، عبر العصور المختلفة، مؤكداً على أن فلسفة كل مجتمع بهذا الشأن هى نتاج لمجمل ظروفه السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية، والتى حددت طبيعة النظرة للإنسان، وللكون، ولله وبالتالي أسهمت فى صياغة رؤية تربوية بشكل أو بآخر.

ومن جملة أجزاء الكتاب نقدم لخمسة أجزاء رئيسية هى على التوالى :-

**الجزء الأول** (أفريقيا - المجتمعات الجماعية)

**الجزء الثانى** (الهند - آسيا الوسطى وجنوب شرق آسيا - ثقافة هندوسية وثقافة بوذية).

**الجزء الثالث** (الصين واليابان - النظام الوظيفى والإقطاع).

**الجزء الرابع** (أوروبا من اليونان القديم إلى العصور الوسطى المسيحية).

**الجزء الخامس** (الإسلام - الوحدة والاختلاف).

وفي الجزء الأول تتناول المؤلفة المجتمع الأفريقي قبل دخول الإسلام ووصول الأوربيين إليه، وكيف كانت التربية تتم عن طريق الكلام الشفاهي المصاحب بالملاحظة والمحاكاة، وعن طريق اللعب والفن، والموسيقى والرقص، مع التنويه لطبيعة هذا المجتمع خلال هذه الفترة حيث كانت الملكية مشاع، وأدوات الإنتاج بدائية، والكثافة السكانية ضعيفة، وحدوث المجاعات وانتشار الأوبئة. ومن ناحية الهياكل الاجتماعية فإن القرية هي النمط السائد، والطبقية أساس تقسيم المجتمع، وعلى المستوى السياسي فالوراثة تحكم تحديد رؤساء القبائل، وتعدد أنماط القيادة بتعدد وظائفها، وتستخلص المؤلفة أن النظام التربوي قد حكم بهذه المتغيرات جميعها، ومن خلال مجموعة قيم مشتركة بين المجتمعات ذات الاقتصاد البسيط، مشيراً إلى أن جهود التحديث بها من خلال الأوربيين لم تسفر إلا عن تغيير للنظام السياسي والبناء الاجتماعي بينما تغيرت القيم والمعتقدات بمعدلات أبطء بكثير.

وفي الجزء الثاني تنقلنا المؤلفة إلى المجتمع الهندي في سياق ثقافة آسيا الوسطى وجنوب شرق آسيا، حيث التواجد الكبير للدين والمعابد، وحيث الهندوسية أساس الثقافة والتربية في الهند القديمة هي الثقافة بالنسبة لغالبية الشعب، وحيث الإسلام هو

الدين الثانى الذى ظهر فى السند منذ القرن الثامن، وحيث ديانات أخرى ستلعب دوراً هاماً كالبودية.

وتستعرض المؤلفة ثلاث مراحل فى تاريخ الفكر الهندى هى تقريباً تاريخ التربية هناك، موضحاً أنه بسبب مرونة المجتمع الهندى فى ظل التعددية الدينية، ظل الدين مركزاً لحضارتها لأكثر من ثلاثة آلاف سنة ومحوراً لأنشطتها الفكرية والاجتماعية، والفلسفة، والقانون، والعلوم، والشعر، والمسرح.

وتستعرض المؤلفة البنية الاجتماعية للمجتمع الهندى وقتئذ، وكيف دارت الطقوس الاجتماعية على رؤى وتطورات مستمدة من الديانات القديمة، وكيف إنعكست على تطور العلوم والمعارف المختلفة.

وفى الجزء الثالث تتناول المؤلفة «الصين واليابان» مبينة أنه بينما كان التأثير الهندى واضحاً على آسيا الوسطى والجنوب الغربى، كانت الصين تزدهر على كل الجزء الشرقى من القارة، فتأخذ عنها كل من كوريا واليابان وفيتنام اللغة الكلاسيكية الخاصة بها، لتصبح لهم لغة رسمية للدولة، كما تأخذ عنها المؤسسات السياسية مع تطبيقها بالظروف الخاصة لكل دولة، ثم تعرج على اليابان كنموذج متميز موضحه كيف تفوقت إقتصادياً على النموذج الذى إتبعته.

وتستعرض المؤلفة الحضارة الصينية القائمة على الكتابة والكونفوشية «كإيديولوجيا»، والجهاز الوظيفى الذى استخدم

الكتابة لنشر "الإيديولوجيا" وجعلها مقبولة من كل المجتمع وفق رؤى وتصورات ومناشط تربوية ترصدها المؤلفة لتوضح أيضاً كيف أن الكونفوشيوسية وهي فلسفة إجتماعية تهدف إلى حكم جيد للبشر قد إنتصرت على التاوية والبوذية اللذين يميلان إلى تمرد الفرد خارج المجتمع.

وفي الجزء الرابع تستعرض المؤلفة المجتمع الأوربي من العصر اليوناني القديم إلى ظهور المسيحية في العصور الوسطى، محاولة التنقيب عن الجذور الأولى، والتأثيرات المشتركة لثلاثة أصول إستندت إليها الثقافة الأوربية وهي :-

- \* اليونان (فيما يخص الديمقراطية والفلسفة والعلوم والفنون).
- \* روما (فيما يخص القانون وتنظيم الدولة والأمور العسكرية).
- \* والمسيحية (المجالات الروحية والأخلاقية).

وفي سياق هذا القسم إستعرضت المؤلفة الأفكار التربوية لدى فلاسفة اليونان القدماء مثل السوفسطائيون وسقراط وأفلاطون وأرسطو، وكيف عكست ملحمتا الإلياذة والأوديسة لهوميروس العديد من الأفكار التربوية، حتى يصل في نهاية الجزء للحديث عن الفكر التربوي في الديانة المسيحية، وكيف سادت أطروحاتها خلال العصور الوسطى من التاريخ الأوربي.

وفي الجزء الخامس تستعرض المؤلفة (الاسلام بين الوحدة والاختلاف) موضحاً مصادر الفكر الإسلامي وثوابته العقائدية، وبعض من تاريخ الخلافة الإسلامية، وكيف تعددت رواقد الفكر

الإسلامي، وكيف بدأت وتطورت وآلت الأمة الإسلامية عبر التاريخ، ليستخلص كيف إنعكست هذه الوحدة وهذا التنوع على التعليم والفكر التربوي داخل الأقاليم الإسلامية المختلفة.

وفي النهاية فالكتاب تفوق قيمته العلمية والفكرية أية كلمات تقدمه للقارئ، ويسعدني أن يكون ضمن سلسلة ما نسعى لعرضه وتلخيصه لجمهور القراء من التربويين ومن الجمهور العام . . . . .

وختاماً أشكر أ.د/ رجاء ياقوت، أ.د/ سلوى عبد الحميد لطفي على ما بذلاه من جهد في ترجمة ومراجعة هذا الكتاب، كما أشكر الدكتور/ أحمد يوسف سعد، والدكتور/ محمد عبد الحميد أبو زهرة، والدكتور/ شعبان حامد على، على ما بذلوه من جهد في إعداد ملخص الكتاب، وهم من شباب الباحثين بالمركز القومي للبحوث التربوية والتنمية والذي أتمنى لهم كل التوفيق والنجاح، كما أتمنى أن يكون الكتاب عوناً لكل معلم في حياته المدرسية.

**والله ولي التوفيق،،**

**أ.د / عايدة عباس أبو غريب**

رئيس شعبة بحوث تطوير المناهج  
بالمركز القومي للبحوث التربوية والتنمية



## الجزء الأول افريقيا المجتمعات الجماعية

### مقدمة :

يبدأ تاريخ هذه المجتمعات مع المجتمعات الشفهية ، حيث بدأت مع الحركات والكلام، ولهذا السبب ذاته يصعب تحديد تواريخ ظهور عادات هذه المجتمعات. ومع ذلك يمكن القول بأن كل ما سنذكره لاحقاً يقع في الفترة التي سبقت دخول الإسلام في افريقيا ، وكانت التربية تتم عن طريق الكلام المصاحب بالملاحظة والمحاكاة. وهذه المجتمعات الشفهية هي أيضا مجتمعات جماعية ، ويقصد بهذا المصطلح المجتمعات التي تكون فيها ملكية الأرض الوسيلة الأساسية للإنتاج ، وهذا النوع من الملكية تختفي معه الطبقات الاجتماعية، وتفضل المصالح المشتركة على العداوات ، ويوجه النظام التربوي إلى رفع التلاحم والتضامن وأهمية الجماعة ، إلا أنه مع العوامل الاقتصادية ، ودخول الرأسمالية مع الاستعمار ، وتقدم الملكية الخاصة، وتحديث التقنيات أدى إلى ظهور مذهب الفردية.

وجدير بالذكر الإشارة إلى أن الملكية الجماعية للأرض لاتستبعد ملكية الأسرة الفردية لحقلها أو لمراعيها ... فمصطلح الملكية لايجب أن يفهم كحق مطلق وأبدى . وإنما هو حق

امتلاك يتم الحصول عليه عن طريق العمل، ويمكننا القول بأن الملكية الخاصة تقدمت مع الزيادة السكانية، وزيادة الإنتاج، والميل إلى الاستقرار، مما أدى إلى ظهور الطبقات الاجتماعية، وبروز الدولة. مع ملاحظة أننا هنا لاندرس سوى المجتمعات البسيطة على مستوى القرى أو ما يقابلها لدى الشعوب التى تعيش على الصيد أو القطف أو الرعى .. بما يسمح بمراقبة التوافق بين قيم المجتمع والتربة وبين نوع ملكية الأرض.

ومن ناحية الهياكل الاجتماعية فإن القرية يمكن أن تضم نسلا أو أكثر، وفى هذه الحالة الأخيرة يكون النسل المسيطر المؤسس أو الغازى، وداخل كل نسل ( أى كل مجموعة ترجع إلى نفس الجد) يطيع الأخوة الصغار كبارهم.

وفى هذه الحدود يتم التفريق بين السكان وفقاً للسن والجنس، وبإمكان كل واحد على الأقل من الرجال الوصول إلى الحكم مع الكبر والخبرة والكفاءة مع عدم إغفال الحالة الاجتماعية الاقتصادية الخاصة التى يحددها عدد السيدات والأطفال، وفى المجتمعات الرعوية تحددتها عدد الماشية المملوكة.

وفى افريقيا الغربية يتم تقسيم سكانها إلى ثلاث طبقات، حيث يأتى على القمة " الرجال المحترمون" الذين ينتمون عادة إلى النسل المؤسس ويحترفون الزراعة. ويأتى بعدهم الطبقات المعتمدة أساساً على التخصص المهنى الوراثى، ويأتى فى آخر



السلم العبيد الخدم الذين هم أسرى حرب أو الذين ترهنتهم مؤقتاً أسرهم الفقيرة من أجل الحصول على المهر اللازم لزواج ابن لهم .

ومن الناحية السياسية ، فإن المجتمعات الجماعية تقوم لها أشكال متنوعة، ولكنها ليست أبداً بدون رئيس ، فعادة ما نجد رئيساً بالوراثة وأحياناً رئيساً مساعداً ، يقوم بأعمال سياسية ، ودينية بمساعدة مجلس من القدماء الذين تختلف سلطتهم من مكان لآخر ، وقد نرى ايضاً رئيسين؛ رئيس للأرض ينتمى إلى أول واضح يد ومستصلح للأرض، ويكون مسئولاً عن كل ما يرتبط بالأرض بما فى ذلك خصوبة الأرض وحمايتها ، ورئيس آخر سياسى يحافظ على احترام النظام ، وهذا الأخير يمكن أن يكون وراثياً .

والحكم عند أقزام " أكا" بأفريقيا الوسطى لا يكون وراثياً ، وإنما يقسم إلى ثلاث وظائف يتحقق لأكثر الناس كفاءة : "المباى" وهو رئيس القبيلة الذى يحل الخلافات بمساعدة أخوته الصغار، و"التومبا" وهو المسئول عن الصيد الذى برع فيه شخصياً، و" النجاشجان" وهو الكاهن الشافى .

وهناك قيم مشتركة بين المجتمعات ذات الاقتصاد البسيط لأن هذه القيم يفرضها الكفاح من أجل البقاء ، ومهما كانت تنوع العادات ، فإنه يمكننا ملاحظة وحدة ثقافية نسبية تظهر فى مجموعة من المميزات العامة: نظرة معينة للعالم ، وطريقة معينة

فى الحياة ، وفى التفكير وفى الإحساس وفى التربية .

ونختم بسؤال منهجى : إلى أى مدى نستطيع وصف تربية المجتمعات الجماعية عن طريق ملاحظات الأمس أو حتى اليوم فى الوقت الذى شهدت فيه هذه المجتمعات تحولات خاصة منذ اقتحام الغرب لها ، إننا لاننفى التغيرات وإنما توجد علاقة بينها . إن ما تغير هو أشكال الحكم السياسى والبناء الاجتماعى ، لكن المعتقدات تغيرت بسرعة أقل وظل العديد منها باقياً بجانب الأفكار الجديدة وبالأخص فى المناطق الزراعية ، والحال كذلك بالنسبة للتربية التى تأثرت كثيراً بهذه المعتقدات ، وإلى جانب الملاحظة فإننا نجد العديد من الشواهد وفرها لنا التراث الشفهى وخاصة الحكايات والأمثال التى تلعب دوراً كبيراً فى التربية اللاشكلىة التى يكشف محتواها عن فكر وقيم الجماعة وعن الطريقة التى ترى بها نفسها بالنسبة للجماعات الأخرى .

## المجتمع التربوي

كل تربية تعكس تصوراً معيناً للعالم ، يحدد غاياته ومحتوياته وطرقه ، وهي تهدف دائماً إلى استمرار النظام الاجتماعي والثقافي وكذلك الاقتصادي الذي يعم هذا النظام. كما تهدف إلى تدريب الرجال والنساء بحيث يكونون قادرين على إنتاج وسائل بقائهم ، وعلى إنتاج الذرية التي تكمل عملهم.

وإذا كانت المعتقدات العامة غير مستقلة عن الإنتاج والنظام الاجتماعي ، فإن هذين الأخيرين لا يفسرانها إلا جزئياً ، فضعف البنية الأساسية المادية يفسر أهمية التضامن والنظام واحترام القدماء ذوي الخبرة ، والطابع الكلي للتربية توفرها المجموعة كلها دون أن تأخذ في الاعتبار الاختلافات العديدة التي نلاحظها في بعض الممارسات والأعمال. لذلك فإن كل تعميم يكون نسبياً، ويمكن القول بأن كل قاعدة لها شواذ.

ووفقاً للملاحظة السابقة يمكن دراسة مفهوم العالم والتربية ، والعوامل والمراحل ومحتويات التعليم وطرقه ، وفي النهاية أهمية وحدود التربية الجماعية.

### مفهوم العالم والتربية:

المفهوم العام للعالم يسمح بفهم أى حق يمنحه الإفريقيون للفرد وأى تصور يأخذونه عن الطفل عند ولادته ، وكيف يربطون

الحياة الأرضية بالحياة الآخرة ، والمهام التي يعطونها للتربية ، فهناك وحدة أساسية للثقافة الإفريقية تتعدى الأشكال الخاصة التي قد تبدو عليها عند شعب أو آخر ، وهذه الوحدة تنبع من الأساس المادى . فالإنسان يدرك عجزه أمام القوى التي تحيط به ، ولا يستطيع السيطرة عليها عن طريق تقنيته ، إلا أن الإفريقيين يرفضون الاستسلام ويحاولون التعاون مع هذه القوى واستخدامها ، فالعالم عبارة عن وسط نشط من القوى التي ينبغى الاستفادة منها ، ومن العلاقات التي يجب تفسيرها من أجل تحقيق الازدهار .

إن المفهومين الرئيسيين لعلم التطوير الإفريقى هما القوة والحياة فالكون عبارة عن شبكة من القوى في قمتها يوجد الله ، والكائن الأعظم هو الذى يمتلك القوة فى ذاته ، وكل الكائنات تستمد القوة منه : الإنسان والحيوان والنبات والمعادن ، وبين هؤلاء وبين الكائن الأعظم تتداخل الآلة والعقول والعبقريات والأجداد المؤسسون لمختلف العشائر المتوفون . وأصل النسل هو ذلك الذى يربط الأجداد بمخلفاتهم ويمدهم بالقوة، وهكذا فإن مفهومى القوة والحياة متلازمان تمامًا .

وتركز التربية أن تعمل من الطفل رمزاً عظيماً يعنى الكلمة الذاتية هى كلمة المسن، والمغزى هو أن يصبح الكلمة التى وهبها الله عن طريق السلف والتى جاء بها إلى العالم .

هل يمكن القول أن التربية تترك الطفل حراً ينمى شخصيته التى استمدتها منذ ولادته بدون تدخل أى شئ ؟ وإذا كان هذا

الطفل شخصاً فهو شخص غير مكتمل ، ويحتوى على تعددية العناصر الجوهرية والتي يمتلك بعضها فى ذاته بينما الأخرى تأتى من الخارج، وينبغى عليه أن يحقق التناسق كى يحقق التوافق بين الفرد والمجتمع والعشيرة والقرية والأسلاف والعبقريات الخاصة بالمجموعة وبالقوى الأرضية (الخفية) ، وأخيراً مع الله .

إن التربية إذن هى الاندماج بين المبادئ ، وقيم الجماعة ، إن المبدأ الأعلى هو الإنسجام ، وهذا لايعنى -كما فى الغرب - أفراداً مستقلين يتأكدون بالمنافسة مع الآخرين ، ولكن أفراداً يندمجون تماماً فى المجتمع . إن الاستقلال الذاتى ليس مرفوضاً ، ولكن يمتد مثل السعة ( وهو ما يسمى بالاكتمال الفنى الضرورى للوجود) . ويضطلع بالمسئوليات وجهاً لوجه مع النسب والقرية وخاصة بواسطة الإنجاب ، وهذا يعتبر ضرورة والتزام أخلاقى لأن المخلوق يختفى بدون أصل أو محتد هو يختفى فى العدم لأنه ليس له شخص يقدم له التضحيات ، وحتى القرية تموت عندما تكون نساؤها عاقرات .

وكما أن الشخص هو عقدة متصلة إجتماعياً وأن أناته تتصادف أساساً مع الوشائج التى تربطه بالمجموعة ، وهذه تتدخل تماماً فى تربيته كى تساعد على تحقيق ذاته .

وملخص القول أن تعطى الحياة للطفل وليس للقلب (بمعنى لطباعه وسلوكه وقدراته) بعكس ما يؤكد بعض المؤلفين بأن الفرد هو مسئول عن تكوين نفسه ، وفى نفس الوقت لاينبغى أبداً أن

نغالى فى أهمية التقيد الاجتماعى .

وليس بدرجة السن ولا بالسلطة يكون الاحترام. إنها صفات جوهرية للشخص الذى يستحق الاحترام . إن المجتمع المترابط يعمل من خلال محورين : أحدهما رأسيا فإن النسب يربط الأجيال من الأسلاف المؤسسين حتى الوليد الجديد ، الأحياء منهم والأموات ، وهذا المحور أيضاً سياسى عندما ينصب زعيم النسب ، والثانى أفقياً فإن درجات العمر والمجتمعات الأصلية تكمل هذا العمل كلما تعارض فى هذا المعيار حيث تتجاوز حدود القرابة والمصاهرة.

## القربانة - القربى - الرحم

" الإنسان هو الرحم " هكذا يقول مثل سنغالى . وهذه القربانة معترف بها اجتماعيا ، بمعنى أن الفرد ليس له أب واحد وأم واحدة، ولكن له فصيلة من الآباء والأمهات المتساوين ينتمون إما إلى عائلات الأب أو الأم أو إلى فصيلة العمر للأب والأم ، وأيضا يدعون بالأخوة والأخوات وأبناء وبنات العمومة التي لا يوجد لها اصطلاحات فى أغلب اللغات فى غرب أفريقيا . وكل هذا يتدخل فى تربية الطفل .

وعندما تحمل المرأة تكون فى مواجهة مباشرة مع عالم يعهد إليها بالتزامات اجتماعية ، فهي تخضع لممنوعات أولية وممارسات خاصة كى تستدعى حماية الآلهة وبركات الأسلاف . كما يجب أن تعاني من تجارب نتيح لها أن تقوى نفسها وأن تتحمل وتقبل هذه الحالة الهامشية ، فهناك قريبات مسنات وذوات خبرة يحيطونها بالعناية والنصائح .

وهذه الأنظمة تبين إلى أى حد يسهر المجموع ( المجتمع ) على حماية الأم ويؤمن لها كل فرص البقاء على حياة الطفل ، وتحدث الولادة فى غياب الرجال ، ولا يظهر هؤلاء إلا بعد سماع صرخة الفرحة التى تطلقها القابلة . وهؤلاء يقرعون " التم تم " رمزاً لتحية المولود الجديد وتهنئة للأم . ثم تقام طقوس دينية لشكر الآلهة والأسلاف وتحمى الطفل من الأرواح الشريرة .

وتلعب الأم دوراً مهماً خلال السنتين الأولتين فى حياة

الطفل ، إنها تعيش بصفة دائمة بجانبه ، والباقي (الزوج والأبناء الآخرون...) كل هذا يربطاً جانباً ، فالأخت أو أكبر البنات هي التي تهتم بذلك . وعندما تستأنف الأم العمل في الحقل بعد ستة إلى ثمانية أسابيع تحمل رضيعها ملفوفاً في قماشة على ظهرها وترضعه عند الطلب ، وفي الليل تنام بجانب الطفل ملتصقةً بصدرها .

وتعتبر التغذية جزءاً مهماً في التربية لأنها تؤثر في شخصية الطفل " رباط الدم" فإذا رضع الطفل من غير أمة يمكن ألا يكون لديه قوة ، وأيضاً يمكن أن يكون لديه رأس غير سوية .

أما إذا توفيت الأم فهناك أم بديلة من العشيرة ترضع الطفل لأن الطفل إذا رضع من امرأة غريبة فإن الدم الغريب يتسلل إلى العائلة ويمكن أن يسبب أضراراً .

وفي افريقيا يمنع العرف كل علاقة جنسية حتى الفطام . عكس أوروبا حيث إن الرضاعة لاتمنع العلاقة الجنسية ، وفي هذه الحالة لا يشعر الطفل بأن والده غريم له ، أما بعد الفطام فيصبح الأب موجوداً شيئاً فشيئاً . وتبقى البنت مع أمها التي تعلمها أعمال المنزل . ويتعلم الإبن من والده الذي يصطحبه إلى الحقل ، ويتعلم بالملاحظة طرق استصلاح الأرض والصيد وتربية الماشية ، ويدين الطفل لأمه بمعرفة اللغة ، وكل ما يخص المنزل والغذاء والقرابة . ومنذ الفطام تكمل الفتاة تعليم اللغة مع والدتها بينما يصغى الولد لأبيه في تسمية النباتات والحيوانات والآلات



الزراعية ، وكل الأشياء عن حياة الريف والقرية .  
وبجانب الأقارب (المكونون) فهناك الآباء والأمهات ،  
والأخوات والأخوة الذين يلعبون دوراً مهماً في المشاركة للإبن ،  
وينبغي ذكر عم الأم والأجداد الذين يذهب عندهم عادة بعد  
الغذاء . إنهم الذين يكونون العادات خاصة في سلالة النسب ،  
ويعدونه للخصائص الجنسية حيث يتحدثون معه بحرية أكثر من  
والديه .

### اللغة والفضاء :

تبدأ اللغة بمعرفة الأهل وقواعد السلوك ، ويتعلم الإبن لغة  
الأشياء وأكثرها شيوعاً هي لغة " التتم تم " Tam - Tam ومن  
التقاليد أن الطبال قبل أن يبدأ في الجمع (الحشد) لابد أن يبدأ  
هكذا على آله :

كل كلمة هي كلمة

وهناك كلمة .. وكلمة

الكلمة السهلة والصعبة

ولكى تتحدث .. تحدث بلطف

ولا شئ يساوى عند الأفارقة أكثر من تعلقهم بالحقيقة،  
وكلام الأسلاف.

والفضاء يلعب أيضا دوراً تربوياً ، ويثبت رؤيا عن العائلة والناس . فالمنزل يصمم دائماً حسب رمز كوني وإنساني في الشكل، وكونه جزء من العالم فهو محكوم بمبادئ الذكر والأنثى حيث أن التفرقة تحدد التنظيم الداخلي فالجانب الأيمن يقيم فيه الرجل ، والأيسر للمرأة حيث المدفأة والأدوات التي تستخدم في إعداد الطعام .

وهذا التقسيم ذو التنظيم الأفقى يتكامل بالقسمة بين الأعلى والاسفل فإن السقف يرمز للسماء والحوائط للأرض .

### مجتمع المساواة

تنهى مرحلة الفطام تعلق الإبن وتبعيته وتسمح له بالتوجه إلى المجتمع . ويمكن لفصيلة السن أن تقوض التماسك بين النسب وتساعد الشباب أن يتحرر من الأكبر منه سناً . وبتجمع الشباب تتأصل الوحدة على مستوى القرية ومجموعة القرى ، وأيضاً على مستوى سياسى مرتفع ، ويكون فى النهاية شكلاً للتسلسل .

وفى فترة الشباب يتحمل أعباء النظام الاقتصادى ( الأعمال الزراعية وبناء الطرق ) ، وعسكرياً ( التجنيد ) ، ودينياً ( حيث أماكن العبادة ) . واجتماعياً ( المشاركة فى زواج الأفراد ) . ويعتبر الوصول إلى السلطة أحياناً ديمقراطياً ( يعتمد على

معيار السن)، ومن وجهة النظر التربوية فإن درجة السن ترسي مبدأ أساسياً اكتشف فيما بعد بواسطة المدرسة : إنها التربية المشتركة . إن حدثاً يتعلم منه الأبناء أكثر وأحسن مع الزملاء منه مع الشباب في جميع المجالات التي تحرك فضولهم واهتماماتهم (وخاصة الجنسية) .

وعملية التكوين هذه لها أهمية عظيمة للأولاد ، وهذه الأهمية تظهر بالخصوص في المسارة ( الاحتفالات الدينية ) التي توصل الشباب إلى سن المراهقة .

وكما في النسب يلعب مبدأ التبعية الصغار للأكبر فإن الرئيس هو الذى يحضرهم ويجمعهم ويعاقبهم ويحل الخصومات ويحكم ويتحدث باسم المجموعة ، وحتى سن العاشرة فإن الأنشطة تكون خاصة باللعب ، وشيئاً فشيئاً يصبح أعمالا صغيرة ، الأطفال يقلدون الأنظمة والأنشطة في القرية ، ويصطادون الفريسة الصغيرة ، ويحرسون الماشية .

ويتم تعليم الرجال خارج القرية في غابة مقدسة ترمز للمعرفة، والاقتراب منها ممنوع ، وهى صورة للصعوبات التي يجب أن يتخطاها حديث التنصر قبل أن يصل إلى المعرفة ، ولكن الإنفراج الداخلى يتمثل فى النهاية (العاقبة) : السماء وإقامة الأرواح النقية والفضاء المقدس بالتميز ، وعند بعض الشعوب فإن هؤلاء الشباب مدعوون فى الغابة المقدسة كل مرة يكون فيها حدث مهم فى المجتمع يتطلب مباحثة ، وكل طبقة أعلى تعلم

الطبقة السفلى تحت المسؤولية العامة للمسنين .

### التجمع القروي

يقول المثل الشعبي في الكونجو " عندما يكون الطفل في بطن أمه فإنه يخصصها ، وعندما يخرج فهو لكل القرية " وتحظى كل المجتمعات بمكانة رئيسية حيث تناقش أمور القرية إما تحت شجرة قد غرسها أحد الأسلاف المؤسسين أو في أحد المنازل للرجال ، ويمكن للسيدات والأبناء والبنات الحضور طالما يتناقشون في أمور مهمة مثل : الجرائم والسرقات والزنا والطلاق، وهناك حيث تصنع السهرات وتحكى الأساطير والخرافات والحكايات التي تعلم الأبناء تاريخ القبيلة .

ويأخذ القضاء الإفريقي في الاعتبار الذين يحضرون وينتمون إلى نفس الجماعة ، فكل فرد له الحق في التدخل ، وهذا النقاش هو نشاط اجتماعي يحضره الرجال والنساء والأبناء ، إنه ليس فقط ممارسة ديمقراطية بل هو ركيزة لحكم الشيوخ ، وأيضاً مدرسة سياسية حيث يتعلم الشباب المشاركة في الحياة الاجتماعية ، وبعيداً عن كونها مناقشة تافهة فهي تحمل ثراء العادات وتعلم بالدليل الحى واستعمال البلاغة ومن مخاطبة الجمهور كى يعرف موقفه ويدافع عنه ، ويعبر بالسرور أو الحزن ويلتمس حكمة الأسلاف في الأمثال والحكايات .

وبحضور الإبن ، ثم مشاركته في أنشطة المجتمع ، وفي السهرات وفي الاحتفالات وطقوس الأفراح والأحزان يتأثر بلغة

الرموز وبالعوادات والمعتقدات والتناقض بين حياة الأدغال والقرية ، بين الإجتماعى والمعادى للمجتمع ، بين الحياة والموت، وهذه التناقضات تارة واضحة وأخرى مبهمة.

### دور الفن

والحاقًا بكل هذه الأنشطة يلعب الفن دوراً رئيسياً فى تربية الفتيان والبالغين بمعنى اشتراكهم فى المعتقدات والقيم السائدة ، وأكثر من غيرها فإن هذه المجتمعات الملفوطة محتاجة لهذا الشكل من التعبير لإبلاغ رسائلهم وفاعليتها فى توظيف الجمال.

وتقدم الأقنعة تنوعاً كاملاً ، ويمكن أن تتخذ ملامحاً إنسانية تارة بالمذهب التعبيري ، وتارة بالصفاء المشبع بالغموض ، وهناك الأقنعة المرسومة أو المنحوتة باللون الأبيض ذات العيون النصف مغلقة وذات البسمة المغلقة أيضاً . ويمكن للوجه النسائي أن يركب بأشكال حيوانية ، وعلى سبيل المثال قرون الكبش التى ترمز للقوتين الذكر والأنثى فى الإنجاب، وكذلك طائر أبي قرين ذى المنقار الطويل المنحنى ، وأيضاً عضو الذكورة وهو يلمس بطن متفخمة مبشراً بالخصوبة والحمل . وأيضاً أشكال أخرى تذكر بحيوانات بدائية كنشأة الكون ، وفى غرب افريقيا الحرباء والسلحفاء والثعبان والتمساح ، وقوة سيطرة ولى الأمر يمثلها الفهد والفيل ، والذكاء ومكر الضعيف يمثلهما الأرنب .

ومن وظائف الأقنعة أنها تستدعى الأرواح قبل موسم البذر حتى تكون الحقول خصبة وتستقبل المطر ، وأيضاً بعد موسم

الحصاد لشكرها وتشارك أقنعة أخرى كى تستقبل روح الموتى بقوتها ، وأخيرا فهناك أقنعه تستخدم ببساطة للتسلية ، وهى وظيفة اجتماعية ، فكما فى الثقافات الأخرى فإن البهلوان أو المهرج ينقد بالاشارة والرقص هفوات وأخطاء عليه القوم والأعيان .

## السنوات الأولى العاطفة والتأقلم مع المجتمع

تنقسم مرحلة الطفولة الأولى إلى ثلاث فترات هى فترة الرضاعة ، الفترة بين سن الفطام وسن اكتمال الأسنان ، وأخيراً الفترة الثالثة والتي تصل به إلى مشارف عامة الناس .

وتعتبر هذه الفترات أيضاً فترات تأقلم تدريجى مع المجتمع . يتمتع خلالها الأولاد والبنات بنفس المكانة ، فينشأون بالقرب من والدتهم التى يكونون معها وحدة بيولوجية ، ثم شيئاً فشيئاً يدخل عالمهم الأب ، الأخوات ، العمات ... ، فالطفل يجب عليه أن يعتاد على الحياة مع أخواته وإخوته ووالده وأفراد القبيلة ، وأيضاً مع أقرانه ، لأن هذه الحياة تسهم بصورة أساسية فى تكوين شخصيته ، كما تسهم فى الحد من أنانيته وتعلمه بعض القواعد ، وذلك معناه أن يتعلم النهج الثقافى أى مجموعة قواعد السلوك الشفهية وغير الشفهية والتي بموجبها ينتمى الفرد إلى مجتمع ما مثل : الاتصال المادى ، النظرات ، الكلمات ، توزيع وتبادل

الطعام ، وكذلك التعامل مع الأشياء .

إن الطفل الذى يبلغ عامه الثانى أو الثالث لايجبر أبداً على تناول الطعام أو المشاركة فى شئ أو تنفيذ أمر ، بل من حقه أن تكون له رغبات مخالفة لرغبة البالغ ، والنتيجة الطبيعية لذلك هى أنه لا يوجد عقاب وإذا وجد فإنه يكون عقاب غير مؤذ مثلما يحدث عند بعض القبائل ضربة خفيفة بأصابع اليد على الرأس ، التأنيب ، ونادراً الحرمان من الطعام ، وفى بعض الأحيان إخافته من القوة فوق الطبيعية .

### الطفولة :

تتميز هذه الفترة بالتفرقة بين الأولاد والبنات ، كما تتميز بالدور الكبير للأهل ، ولطبقات العمر ، فينشأ الأولاد بالقرب من الرجال وتنشأ البنات بالقرب من النساء ، ويتعلم الجميع العمل حتى أثناء لعبهم ، فهم يقلدون الكبار فى المنزل والحقل .

### الفصل بين الجنسين :

تتعلم الفتاة الصغيرة من أمها الطهى وأعمال المنزل والعناية بأخواتها الصغار ، وتسهم مع والدتها فى أعمال الحقل ، كما تتعلم منها التجارة وصناعة الخزف ، وترتبط الفتاة نتيجة قيامها بهذه الأعمال ارتباطاً وثيقاً بالمنزل مما يساعدها على الإسهام فى الحياة

### الاجتماعية قبل الولد .

والهدف الأساسى من وراء هذا الأسلوب فى تربية الفتاة هو إعدادها للزواج ، فهناك ثلاثة معايير يتم من خلالها تحديد مدى صلاحية الزوجة : القدرة على الإنجاب ، العمل فى المنزل والحقل ، الأدب والسكوت ، وكثيراً ما يتردد الحديث حولها عن مستقبلها كزوجة .

ويقوم الأب بتربية الولد ، فيصحبه معه إلى الحقل حيث يساعده فى استصلاح الأرض ، كما يصحبه معه إلى الصيد حيث يتعلم نصب المصائد أو الرمى بالسهم ، كما يتعلم رعى الماشية .

### العاب ومهارات :

قسم B.Come Kiou فصول الألعاب عند الأجن Agni إلى خمسة فصول وفقاً لعمر الطفل : الرضيع ، الطفل ، المراهق ، الشاب ، البالغ ، وينقسم كل فصل إلى عدة أقسام تبعاً للنوع ، الوقت (نهار - ليل) ، المكان ( فناء المنزل ، الشارع ، أطراف القرية ، الأدغال) ، فبعد أن يصل الطفل إلى مرحلة الفطام يصبح التعرف على الهوية الشخصية هو العنصر الأساسى فى لعبة التقليد، فيلعب الطفل ممثلاً لشخصيته أو الشخصية التى يحبها ، وتصنع الفتيات الأفريقيات الدمى بكل أنواع المواد ولا تتخلى الفتاة عن الدمية إلا بعد سن البلوغ ، عندما تكف عن تقمص نموذج ما لأنها سوف تصبح امرأة كاملة.



وبعد سن الفطام يبدأ تدريب الأطفال تدريجيًا على الحياة داخل الجماعة، وهناك بعض الألعاب المختلطة . وبعض الألعاب التي يفصل فيها بين الجنسين ، فالأولاد والبنات يذهبون معًا للصيد مثلاً، أو يلعبون لعبة الزواج ، ويقلد الأولاد الرجال في فلاحه الأرض وزراعتها وبناء الكوخ ، وفي بعض الأماكن تشارك الفتيات في هذه الأعمال ، ولكن في معظم الأحيان يقمن فقط بإعداد الطعام وقطف الثمار ، ومما يزيد من صلابه الطفل ممارسته لرياضة الجرى والقفز وتسلق الجبال والقتال. لذلك يقوم بصنع أسلحة بنفسه ليلعب مع أقرانه لعبة الحرب، بينما تكتفى الفتيات بالألعاب التي تنمي المهارة والصبر والجلد .

### الانتقال إلى سن النضج

#### معنى الانتقال:

سن النضج هو سن البلوغ ، أى السن الذي يستيقظ فيه النشاط الجنسي والرغبة فى الإنجاب ، وإذا كان تأقلم الطفل مع المجتمع يتم من خلال أسرته وأقرانه ، فالمجتمع بأكمله يتدخل فى هذه المرحلة من خلال مجموعة من الطقوس .

فعند أقزام الأكا Aka فى وسط افريقيا فإن الختان يتم عندما يبلغ الطفل سن الخامسة أو السادسة من عمره، بينما لا يتم ختان البنات ، وعندما يتراوح عمر الصبى بين العاشرة والخامسة عشر

ويصبح قادراً على الحياة بمفرده يترك كوخ والديه ، فيعيش الأولاد في كوخ صغير يتم إعداده في وسط المخيم ، وتقيم كل فتاتين أو ثلاثة داخل كوخ صغير يقمن بينائهن بأنفسهن بالقرب من كوخ والديهن ، ويمهد انفصال الأبناء عن الآباء لاستقلالهم بعد الزواج .

وتتميز فترة المراهقة بالقدرة على جمع العسل ، وصيد الحيوانات مثل الغزال والظبي .. باستخدام الشباك والرماح والقوس وينصب الفخاخ ، أما الفتيات فيقمن بجنى الثمار ، وعيش الغراب واقتلاع الجذور ، ويتعلمن التفريق بين النباتات السامة والنباتات التي تساعد على الشفاء ، كما تقوم الفتيات بصيد الأسماك والجمبرى .

وبذلك يسهم الأولاد والبنات كلٌ بحصته من المعرفة ليكمل كل منهما الآخر بعد الزواج . وتستمر الخطوبة مدة طويلة من سنتين إلى أربع سنوات ، حتى يتأكد أهل الفتاة أن زوج إبتهم قادر على تلبية احتياجات أسرته خاصة وأنه سوف يقيم معهم في نفس المنزل .

### مراحل التدريب :

ينقسم التدريب التقليدي إلى ثلاث مراحل : انفصال الشاب عن جماعته ، الاعتزال في الأدغال، عودة الرجل الجديد إلى

## القرية .

ويقوم الكاهن أو الطبيب بإجراء أولى الاختبارات التى يمر بها الشاب أو الفتاة وهى عملية الختان ( ختان البنات أقل شيوعاً )  
والتي يجب عليهم تحملها دون صراخ أو بكاء لأن ذلك معناه أن يصيبهم الخزي والسخرية من كل من حولهم .

والحياة فى الغابة المقدسة الهدف منها هو تكوين رجل وامرأة نابغين من أجل القيام بدورهما فى الجماعة ، فهى تعتبر اذن عملية انتزاع (اقتلاع) الماضى ، ونوع من الوفاة الرمزية من أجل ميلاد جديد ، وعلى المولود الجديد أن يتحمل كل الاختبارات التى تثبت جلده وشجاعته وطاعته وقوة أخلاقه وخضوعه للقوانين وتؤدى هذه الاختبارات التى يخضع لها الفرد مع زملائه من نفس العمر إلى وجود تضامن قوى يربط بينهم مدى الحياة.

ويعيش المبتدئ غارياً مثل المولود الجديد ، ولكن هذا العري يمثل أيضاً الحياة الجنسية التى يتعلم مبادئها فى هذه الفترة.

والشرط الثانى من شروط الميلاد الجديد هو التعليم ، وهو يتناول أساطير الأولين ، التنظيم الاجتماعى وطبقاته المختلفة ، ويتناول أيضاً تقنيات الزراعة والصيد وتربية الماشية والطب المتداول، والحياة الجنسية والرقص ، وتتعلم البنات إلى جانب القواعد الاجتماعية العامة واجباتهن كزوجات والطهى وصناعة الخزف وتصفيف الشعر والرقص والغناء والطب .

ويخلق هذا التعليم الذى يتم فى جو دينى وعاطفى

شخصية جديدة للفرد يرمز إليها باسم جديد ، يتم اختياره وفقاً لتصرفه خلال التدريب ، وهو لا يحذف الاسم الذي أطلق عليه لحظة ميلاده ، ولكنه يحتفظ به كسر خاص مما يخلق نوع من الترابط بينه وبين أفراد طبقات العمر Classe day .

ولقد لخص توماس Thomas روح التدريب الخاص بأفريقيا السوداء فى كلمتين " جدلية تعتمد على المتناقضات . فى المستوى الأول الزمن الاسطورى يتكرر فى التدريب الذى يقع فى زمن ملموس الكونى يقابل الإجتماعى فيما يتعلق بزمن الأشياء (القرية — الأدغال — القرية) ، وبالنسبة للرمز ( ثقافة — طبيعة — ثقافة) ، وأخيراً بالنسبة لما وراء الطبيعة ( عالم سوى — طاقة خلقة) ، وفى المستوى الثانى تلعب المتناقضات المتكاملة بين الشباب والشيوخ ( الأخ الأصغر / الأخ الأكبر) ورجال ونساء (ذكورة/ أنوثة). وفى المستوى الثالث ينشأ توازن بين النظام والفوضى ، وفى المستوى الرابع والأخير يتداخل الموت مع الحياة والتدريب. ولا ينتهى التأهيل باكتمال التدريب ، فبعض الشعوب تؤمن باستمرارية التعليم مثل قبائل اللارى Les Lari

### التعليم التخصصى:

يوجد داخل الأسرة تخصصات مختلفة بخلاف التعليم العام الذى يتلقاه كل فرد ، فالطفل يتعلم من والده عن طريق المراقبة والتقليد ، مما يتيح له الاطلاع على أسرار المهنة ، وبهذا

الأسلوب يتم تأهيل الشعراء والسحرة والحدادين وصناع الخشب والجلد فى المجتمعات المغلقة ، وفى أماكن أخرى يتعلم الفرد من خلال مراقبة وتقليد الأخوة الكبار أو أحد المعلمين .

ولا يستطيع كل إنسان العزف على الطبله ، كما أن صناعة هذه الطبول تختلف من حيث نوع الأخشاب والجلود المستخدمة، فكل نوع منها له استخدام محدد ، ولا يمكن استخدام أى أداة لعزف أى نوع من الموسيقى فى أى وقت .

وتستلزم مهنة الكاهن - المطيب مهارات عالية ، فهذا يلعب دوراً مهماً فى هذه المجتمعات التى تحتل فيها الصحة المرتبة الأولى ومن ثم يخضع إلى تأهيل طويل حتى يتعلم فوائد النبات فى العلاج والوسائل السحرية ، وطقوس التطهير ، فهو الوسيط بين الإنسان والمجهول الكفيل للتوازن الاجتماعى . ويحتل الكاهن المطيب مكانة مرموقة فى بعض المجتمعات . فقد يشغل منصب مستشار الأمير عند إتخاذ القرارات السياسية والعسكرية .

ويستلزم مهنة العرافة قدرات ذهنية عالية ، ولا يكتفى ممارس هذه المهنة بالموهبة أو الخضوع لسيطرة قوة غير طبيعية بل يجب عليه أن يتلقى تأهيلاً طويلاً قد يصل إلى أكثر من عشر سنوات .

### قناع من البولين Booule :

يعمل القناع الإفريقى إلى تعليم الشعب احترام القواعد الاجتماعية فهو دائماً يعبر عن القوة ، ويعتبر هادياً أو مخيفاً .

### أساليب التعليم :

يتعلم الطفل عن طريق مراقبة ومحاكاة الكبار دون الحاجة إلى دروس تفسيرية كي يتعلم من الاستماع إلى القصص والأساطير والألغاز والأمثال التي يروونها له في السهرة ، وعليه أن يتدرب على الدور الذي سوف يقوم به في المستقبل من خلال لعبه مع أقرانه .

وعلى الرغم من حث الجميع على التعليم الأساسي فهناك لغة وتعليم سرى يقتصر على بعض الأشخاص ، ولا يتم اختيار نوع التعليم وفقاً لقدرات ورغبة الطفل ، ولكن تبعاً لانتمائه الاجتماعي أو العائلي .

### اللغة والحديث :

تلعب اللغة دوراً مهماً في المجتمعات التي تمتلك حروفاً أبجدية ، فهي لا تعتبر فقط وسيلة للاتصال بل تعمل على نقل التراث الثقافي . ولذا فإن تعلم اللغة والحديث يحظيان باهتمام خاص لدى هذه الشعوب ، فاللغة بتركيباتها ومفرداتها هي مرآة الفرد التي يرى من خلالها العالم .

ويبدأ الطفل في الحديث مع أمه ثم يتابع ذلك مع أفراد أسرته والمجتمع ، وتعلمه ظروف الحياة اليومية اللغة التي يجب أن يستخدمها مع كل فرد ، وفي كل مناسبة الكلمات التي تحدد صلة

القراءة ، صيغ المجاملة ، التهاني والتمنيات ، كما يتعلم أيضاً الإهانات ، ويتعلم الطفل الحديث من خلال هذا الأدب الشفهي بدءاً من الأغنيات التي تدندن له بها أمه أو أخته ليستغرق في النوم، حتى الأغنيات والألغاز والحكم والقصص التي تروى كل مساء ، ويبدأ في التعرف على معاني الكلمات كلما زاد عمره وشارك في الأحداث التي تحدد مصدر المجموعة مثل الألعاب والحفلات .

### **القصص :**

تنقسم القصص الشعبية اليوم إلى الأسطورة ، السيرة ، القصة القصيرة .. ، وهناك تشابه في صفات القصة القصيرة والحكاية إلا أن الأخيرة تهدف إلى استخلاص مغزى أخلاقي من خلال قصص الحيوانات وهو ما لا يتحقق دائماً في القصص القصيرة ، والفرق بين كل هذه الأنواع غير واضح ، وفيما يلي سوف تستخدم كلمة قصة قصيرة عند الحديث عن أي منهم .

### **الهدف من القصص القصيرة ومعانيها المتعددة :**

من الناحية التربوية ، يمكننا أن نعرض التقسيم التالي تبعاً للأهداف الرئيسية للقصة والتي ترتبط ببعضها البعض :

- المعلومات .

- التربية الأخلاقية والذهنية والوجدانية (تعلم الحياة)

- التعليم الفنى ( تعلم العمل).
- التعليم اللغوى ( تعلم الخطابة).

وتختلف الفائدة التى يمكن استخلاصها من قراءة القصة القصيرة من شخص إلى آخر ، فعلاوة على المضمون الواضح للجميع فهناك كثير من المعانى الخفية التى تستلزم فهم عميق للمعتقدات والرموز لذلك يستطيع كبار السن وحدهم تفسير الأساطير لنا .

ويمكن بوجه عام الفصل بين المعانى الداخلية للقصة والتى ترتبط بمواضيع عامة مثل التضاد بين الذكاء والقوة وغيرها . والمعانى التى يمكن استخلاصها اذا ما ربطنا بين القصة والمجتمع الذى نشأت فيه والتى ترجع إلى مواقف محددة.

وتعد القصة القصيرة وسيلة من وسائل التعليم التى يظهر فيها بوضوح المراحل التى يمر بها الطفل حتى يصل إلى سن البلوغ والخروج من منزل الأب للذهاب إلى الغابة، ومقابلة أشخاص يطلبون منه الخضوع صامتاً لعدة اختبارات ، وأخيراً النجاح والعودة إلى الحياة الإجتماعية.

وتروى هذه القصص فى المساء بعد أن يتناول الجميع العشاء وأحياناً تقوم الجدة برواية هذه القصص لأحفادها وأصدقائها وأحياناً أخرى يتم ذلك فى ساحة القرية حول النار أو على ضوء القمر.



والقصة كنتاج مشترك تعتبر وسيلة من الوسائل التي يستخدمها المجتمع من أجل مراقبة اللغة والتعبير والاستخدام الجيد للرواية ، فالقصة موجه للجميع ، للرجال والنساء ، وللأطفال وللبالغين ، ويمكن لكل فرد أن يضيف إليها ، أو أن يقوم هو بدور الراوى ، وذلك على الرغم من وجود الرواه المحترفين فى كل مكان .

والهدف من رواية القصة هو التسلية ، ولا تلعب دوراً تربوياً فغالباً ما تكتفى بوصف الحياة اليومية والمؤسسات الاجتماعية وسرد المعتقدات الشعبية التى تتعلق بظاهرة ما : لماذا تعيش الحيوانات مستقلة فى الغابة ؟ لماذا نجد العصافير فى كل مكان؟ الحياة والموت ، الطقوس ، العادات ، النباتات ..... الخ .

### القيم وما هو دورها :

تهدف بعض القصص صراحة إلى ترسيخ القيم الأخلاقية والذهنية والروحية ، فتعمل بذلك على تعليم الأفراد حسن التصرف ، وهذا الأسلوب فى التربية أفضل بكثير من أسلوب الأمر والنهى ، فالصغار يتقبلون بصعوبة الأساليب الجبرية ، ذلك من الأفضل أن يتوصلوا بأنفسهم إلى فهم الرسالة من خلال اللعب ، وهناك وسيلة تستخدم بكثرة فى القصص التربوية حيث تروى قصة شخصين يمران بنفس الاختبارات ، ويكافئ الشخص الذى يجيد التصرف بينما يعاقب الشخص الذى يسئ التصرف ،

وتصف هذه القصص الاختبارات التي تجرى لأبناء القبيلة خلال تدريبهم والتي صيغت من أجل تعليمهم القيم الاجتماعية.

وقد لاحظ Nida عند قيامه بدراسة القصص التي يقوم الطفل بالدور الرئيسي فيها أنها تدور حول قيمتين رئيسيتين : احترام النظام القائم والذكاء ، فتظهر القصة العقوبة التي تقع على كل من يخالف النظام، وتشير القصة إلى الله الذي يحمي الضعفاء من هؤلاء الذين يسخرون من نظام الكون، كما تحث القصة على الذكاء الذي يساعد الإنسان على الخروج من المشاكل والحصول على الثروة والسعادة.

وكثيراً ما تتناول القصص فكرة عدم الطاعة مع تقديم أمثلة لتلقين الخضوع للأهل ، والأخوة الأكبر سناً ، والتمتع بالفطنة والرصانة ، واحترام الأسرار والمحظورات ، ويحث أيضاً موضوع "الفتاة المستهترّة" على الطاعة، فبعد أن قامت الفتاة برفض الزواج من كل الأشخاص الذين وافق عليهم أهلها تبعت شاباً وسيم الطلعة غريب عن القبيلة الذي يتحول إلي وحش كاسر ويلتهمها ، إلا في بعض الروايات التي تنتهي بنهاية سعيدة ، فيقوم أحد إخوانها بإنقاذها ، وتعود إلى أهلها ، وتتعهد بطاعتهم دائماً.. كما تحث القصص على العديد من الصفات التي تدخل في إطار الأخلاق العامة ، وتبين جزاء من يتبعها وعقوبة من يخالفها مثل : الوفاء والكرم ، والالتزام، والعرفان بالجميل ، والعدالة، والطيبة، والحب .

والأخلاق مسألة نسبية ، ومن المثير للمقارنة بين الأخلاق المسيحية والأخلاق الأفريقية ، فالأولى تقوم أساساً على إزدواجية الخير والشر ، وتمنع بطل القصة من الكذب ، أما فى إفريقيا فالذكاء يضم الدهاء الذى يمكن أن يؤدى الى سوء النية أو النفاق أو الخيانة، وما يعتبره الناس فى أماكن أخرى مكرراً أو دهاء يعتبره الأفارقة ذكاء، إلا أنه من الخطأ اعتبار أنهم لا يفرقون بين الخطأ والصواب، ولكنهم يحترمون تفوق الذكاء .

وتحتوى القصة إلى جانب هذه التربية الأخلاقية والذهنية والنفسية أيضاً على بعض المعلومات والتقنيات التى يحتاج إليها الإنسان فى المجتمعات الريفية مثل الحصاد والزراعة والصيد وتربية الحيوانات والطهى ، وتقدم بعض القصص وصفات لإعداد الطعام ، والرواية أخيراً هى مدرسة لتعلم فن الكلام : الصياغة والأسلوب فهى تنمى لدى الطفل الخطابة التى تعد من الأمور الأساسية بالنسبة للمجتمعات التى ليست لها لغة مكتوبة ، وذلك عن طريق الرواية ، الغناء ، والمسرح ، السحر .

وإذا كانت الرواية نوع من الفن ، فهى مدرسة لتعليم هذا الفن، يتعلم فيها الطفل اللغة ، تقنيات التعبير ، الشخصيات، تقليد أصواتهم وحركاتهم ، كيفية تصعيد أو تقليل الإيقاع الحركى. التوافق بين الحركة والكلمة ، أى كل ما يسمح للراوى بإثارة اهتمام جمهوره .

## أقوال مأثورة وألغاز :

يوجد إلى جانب القصص أشكال أخرى من الأدب تلعب دوراً يومياً في تعليم الأطفال والبالغين ، وهي الأمثال والألغاز ، وتتميز عن الصور الأدبية السابقة بقصرها وتركيزها وإيقاعها وتوازنها وتضادها .

ويمارس الأطفال لعبة الألغاز فهي تعودهم على الرياضة الذهنية التي تنمى لديهم الخيال ، والمنطق والتقريب بين الأشياء وإن بدت بعيدة عن بعضها البعض .

كما أن هناك بعض الألغاز حول الجنس يتناولها البالغون دون منع الأطفال من الاستماع إليها ، والبعض الآخر لها معنى رمزي يحتاج إلى تفسير ، وبينما نجد إجابة واحدة للغز ، نجد أن الفزورة تترك الحل مفتوحاً ، فيستطيع كل فرد أن يقترح إجابة خاصة به تتفق ووضعها الاجتماعي ، وما فيه من تجارب ، وهكذا يتطور المجتمع عندما تحل إجابة جديدة محل الإجابة السابقة التي أقرها الجميع ، وترجع الأحجية (الفوازير) إلى القيم السائدة خاصة تلك التي تتعلق بصراعات الأنساب .

أما المثل فهو جملة تترجم حقيقة نابعة عن تجربة ، أو تعبر عن نصيحة نابعة من حكمة عملية ، وبعض هذه الأمثلة واضحة حتى بالنسبة للشخص الأجنبي ، والبعض الآخر لا يمكن فهمه إلا إذا عرفنا المكان الذي قيل فيه ، وتستخدم الأمثلة في أي ظروف دون شروط تتعلق بالزمان والمكان كما يحدث بالنسبة للقصص ،

إلا أنها يجب أن تحترم القواعد الاجتماعية.

وترتبط معرفة الأمثلة بالسن والخبرة ، لذلك يستخدمها الأشخاص البالغون من أجل تعليم الأطفال ، ولا يصح أن يجيب الأطفال على حديث الأكبر منهم مستخدمين الأمثلة . فالتعامل مع الأمثلة يحتاج إلى معرفة جيدة بالطبيعة وبالمجتمع ، ومن الأمثلة ما يتطلب فهم للموقف الذى يشيرون إليه ، وفهم للرموز أى للغة المشتركة بين المتحدثين والتي يكتسبونها من التقاليد ، اذ إن هناك الكثير من العوامل التي يمكن أن تؤثر على المعنى ، ومن المؤكد أنه إذا تم تفسير المثل تفسيراً يخالف ما أراده المتحدث فإن الرسالة لن تصل إلى المستمع مما يحد من تأثير الوظيفة التربوية للمثل .

#### أغنيات الملاحم :

يعتبر الغناء والموسيقى جزءاً لا يتجزأ من الحياة اليومية فى المجتمعات القبلية خلافاً لما يحدث فى المجتمعات الصناعية حيث يفصل بين العمل والتسلية ، فنجد أن الغناء والموسيقى جزء لا يتجزأ من الحياة اليومية فى المجتمعات القبلية ، فهما يصاحبان الإنسان منذ مولده .

وتنتشر الملاحم فى افريقيا الغربية وافريقيا الوسطى ، وتستخدم عند قبائل Peul, Malinke, Bambara من أجل

الإشادة بالشخصيات التاريخية التي أصبحت أساطير تروى، فتستخدم الملاحم في تمجيد الماضي سواء أكان أسطورياً أم حقيقياً. والبطل في الملحمة لا يجد القيم الجماعية دائماً، بل يتميز برفضه كل القواعد التقليدية، فهو لا يعترف إلا بقانون خاص به، ورغبة في القوة الشخصية الخارقة التي قد تفوقه أحياناً إلى الموت.

ويرتبط الغناء والرقص والموسيقى معاً دائماً، ويطلق نفس الاسم في كثير من اللغات على الرقص والأغنية، لأنهما جزء لا يتجزأ من الموسيقى، ويمكن تقسيم الموسيقى إلى قسمين وإن كانت الاختلافات بسيطة: الموسيقى الدنيوية، والموسيقى الدينية؛ أى غناء الروح الذى يصاحب طقوس التدريب، والاحتفالات الدينية المختلفة وغناء اللهو كالغناء للأطفال، والغناء أثناء العمل والاحتفالات، والنوع الأول يتميز بأنه أسطوري ويوجه لجمهور محدود. أما الأغاني الدنيوية فتتحدث عن المظاهر المختلفة للحياة اليومية أمام جمهور كبير، وتختلف الأغاني عند بعض القبائل وفقاً للجنس والسن والطبقة الاجتماعية، إلا أن الفرق بين الأغاني الدينية والأغاني الدنيوية يعد من المسائل النسبية فى الأماكن التى يختلط فيها الدين اختلاطاً كلياً مع الحياة الاجتماعية.

وأخيراً فإن تعليم الفرد الاندماج داخل الجماعة يعد من أهم الوظائف التربوية للغناء الجمالى والرقص، فمن خلالهما يستطيع

## الجميع المشاركة فى مظاهر الحياة الاجتماعية. الألعاب :

يقوم اللعب بعدة وظائف ترتبط إلى حد ما بنمو الطفل ، فهو يكتشف جسده والعالم الخارجى عندما يقوم بتحريك يديه وقدميه، ومن خلال هذه الألعاب الحسية - الحركية تتحول التجربة إلى معنى يفهمه وتنمو قدرته اليدوية وذكاؤه ، فيميز بالتدريج جسده والأشياء المحيطة به ، وعندما يبلغ الطفل عامه الثانى تبدأ الألعاب الرمزية والتي من أشهرها العرائس ، وتنحصر هذه الألعاب فى نوعين : التقليد والخيال ، حيث يقوم الطفل بدوره فى الحياة ، أو يقلد أحد الأشخاص أو الحيوانات مستخدماً فى ذلك بعض الأدوات المشابهة للنموذج الذى يقلده ، ثم يقوم بالتقليد دون استخدام هذه الأدوات .

وتتنظم عملية اللعب عند الطفل عندما يغادر عائلته وينضم لأقرانه ، فيتعلم الخضوع إلى قواعد مشتركة تطبق على الجميع ، مما يعد بداية للإندماج داخل المجتمع، والعمل على خدمة الجماعة، وبالرغم من أن الألعاب العلمية والتقنية غير متوافرة فى إفريقيا، ولكن يمكن القول أن اللعبة المصنعة هى شئ جامد يفتقد إلى الكثير من الصفات ، حيث تصنع بأعداد ضخمة ، فتصبح بذلك متماثلة لدى الجميع، وتفقد خصوصيتها، علاوة على أنها تزيد من الفوارق الطبقة بين الأطفال لارتفاع أسعارها ، مما يؤدى إلى عدم قدرة الجميع على شرائها ، أما فى إفريقيا ، فالطفل يقوم

بصناعة لعبته باستخدام المواد الموجودة حوله، مما يطلق العنان  
لخياله وقدرته على الابتكار.

هذا ، ويمكن تقسيم الدور التربوي للعب على النحو التالي :

١ - التربية من أجل الإنتاج ، حيث يؤهل الطفل للعمل الذي  
سوف يمارسه من خلال محاكاته للبالغين .

٢ - التربية في المؤسسات الاجتماعية ، حيث يلعب الطفل لعبة  
الزواج أو الطلاق ، أو الاحتفالات القروية.

٣ - التربية البدنية ، وهي كل الألعاب التي تتطلب اللياقة والقوة.

٤ - التربية العسكرية ، حيث تساعد بعض الرقصات على إعداد  
الشباب جسمياً لخوض المعارك .

٥ - التربية الفنية ، وتقوم على صناعة العرائس والحلى وأدوات  
الموسيقى .

٦ - التربية الجنسية ، هناك بعض الرقصات والألعاب التي يمكن  
من خلالها تعليم الشباب مختلف النواحي الجنسية.

٧ - التربية الذهنية ، تساعد بعض الألعاب على التعرف على  
الطبيعة المحيطة ، والحيوانات ، والنباتات ، والمعادن .

وهكذا نستطيع أن نلمس أهمية اللعب من أجل نمو الطفل  
عند المجتمعات القبلية .



### التضامن والخصومات :

لقد سبقت الإشارة إلى تركيز التربية الإفريقية على مبدأى الترابط والتضامن الاجتماعيين اللازمين ، وذلك فى ضوء التطور الضئيل للقوى الإنتاجية ... الأمر الذى يفسر التركيز على التوازن بين الإنسان والبيئة المحيطة به .

### واقعية الحكايات والأساطير الخيالية :

الواقعية إحدى سمات علم التربية الإفريقية ، فعلى عكس ما تقدمه النظم الأخرى للتربية التى تقترح أساساً عرض نماذج للخير والفضيلة ، فإن الأسطورة الإفريقية لاتخفى قاطبة أن تصفية النزاعات لاتتم غالباً عن طريق العدالة أو ظفر الأخيار، بل تتجاوز أحياناً إلى حد سرد بعض أمثال الشر . يذكر فى هذا الصدد أن فكرة زوجة الأب تتسم بالعنف إزاء أولاد زوجها الأيتام - تلك الفكرة التى تتناولها روايات عديدة - نجد أنها تتكرر من قبل الآباء والأمهات بعينهم ، فهناك الأم التى تلقى بأطفالها فى الأدغال، وأخرى ساحرة تطارد ابنها لتأكله ، كما نجد الأب الذى يقطع ساقى وذراعى ابنه لأنها خرجت عن طوعه .... فالصراع ينشب بين الرجل والمرأة ، وبين الزوجة وضرتها ، وبين الأخوة والأخوات ، وبين السيد ورعيته .

ويذكر فى هذا الصدد أن الأسطورة الإفريقية تتوجه إلى

البالغين أكثر من الأطفال ، إذ إن معظم المستمعين إليها من الفلاحين المنغمسين تمامًا في الواقع ، بمعنى أنهم كائنات متشعبة تمامًا بفكرة أن معيار الصدق في الآراء يكمن في قيمة عواقبها ، ولديهم العقل السليم والرشاد ، والأسطورة الإفريقية تبرز لنا الأحداث والمواقف اليومية حيث تبرز عناصر الإخلاص والشر ، العدالة وسوء استخدام السلطة ، الحب والكراهية ، الأنانية والتضامن ، فتجمع هذه العناصر وتتعايش معاً ، فالأسطورة بالمعنى الدقيق لا تشكل الإنسان ، وإنما تذكره بالنظم والأعراف وأنواع العقاب الذى سيتعرض له إذا ما خالف تلك النظم ... تذكره أيضاً بالعيوب التى قد تضر بتلاحم وتماسك الجماعة ، وبالصفات التى تسهم فى تقوية هذا التماسك.

### الزوجان : رجل - امرأة :

إذا ما تحدثنا عن نفقات المعيشة فى مجتمع يعيش على اقتصاد الكفاف والتى تستلزم إسهام الجميع ، فإن المرأة تعمل فى هذا المجال كما يعمل الرجل إن لم تكن أكثر منه ، فالواقع أن دور الرجل يقتصر غالباً على الأعمال الثقيلة كاستصلاح الأرض والصيد والحرب فى حين أن المرأة تقوم بكافة الأعمال الأخرى كتجهيز الأرض ، ونثر البذور ونزع الأعشاب ، وجمع المحاصيل وتخزينها ، فضلاً عن زراعة الخضروات والأعمال المنزلية ، وفى دراسة عن دور المرأة فى التنمية الاقتصادية يقول Aster Boserup : "إن

إفريقيا هي بلد الزراعة النسائية بلا منازع". فالنساء يتكفلن تمامًا بالإنتاج الغذائي ، ولا يلقين سوي مساعدة ضئيلة من الرجل.

ويضيف نفس الباحث أن "تعدد الزوجات يحظى بتشجيع ومميزات في مجتمع تتولى فيه النساء مهمة الأعمال الزراعية ، وهذا الأمر يفسر سبب قيام الزوج بدفع مهر العروسة في مقابل حرمان أسرتها من مساعدتها الفعالة ، وإذا ما كان هذا النظام يؤدي بطريقة أو بأخرى إلى استغلال فعالية عمل النساء ، فإنه يعترف في مقابل ذلك بحقوقهن في الأرض وأدوات الإنتاج ، وحققهن في الاستقلال والاكتفاء الذاتي ، وبالإضافة إلى دور المرأة المنتج في مجال الزراعة فإن لها دور مماثل في مجال الإنجاب فهي التي تلد الأطفال الذين يكبرون بدورهم ويزيدون من عملية استمرار وتواصل الجماعة وزيادة قدرتها على الإنتاج.

ويمكن الإشارة في هذا الصدد إلى موقف الرجال المتناقض قبل المرأة ، فإنهم يدركون تمامًا حجم مساهمة المرأة في الإنتاج، ولكنهم يخشون في ذات الوقت من تفوقهن واستقلالهن حتى ولو كانوا يمسون بزمام السلطة السياسية.

### الضغوط الأسرية:

إذا كانت العلاقة بين الرجل والمرأة هي أحد الأسباب الأكثر عمقاً لعدم المساواة ، فإن الحكاية تتناول أنواعاً وأشكالاً أخرى

من الصراعات والخلافات الأسرية ، فهناك الغيره والمنافسة بين الزوجات المشتركات فى زوج واحد، وبين الأشقاء والشقيقات، وبين الزوج أو الزوجة الحماة ، وبين الآباء والأطفال وبين زوجة الأب وابن زوجها اليتيم ، وبين العم أو الخال وابن أخيه أو ابن أخته .

وتسبب شراهة المرأة من الناحية الجنسية فى نشر الفوضى فيما بين عائلتها ، كما يسبب تعدد الزوجات كثيرا من الخلافات بين الزوجات المشتركات فى زوج واحد بصفة عامة بين المسنات وبين الشابات منهن ، وبين الزوجات اللاتى لديهم أطفال والأخريات اللاتى لم ينجبن ، كما أن التنافس بين الأطفال المنحدرين من أب واحد غالباً ما يكون نتيجة لتعدد الزوجات . والأغرب من ذلك أن هناك الآباء الذين لا يحبون أولادهم ويسعون لأذيتهم ، كما أن هناك الأبناء الذين يقتلون آباءهم بصفة عامة فى فترات المجاعة ليتخلصوا من مسئولية إطعامهم .

ويعتبر التنافس بين الخال أو العم وابن أخيه أو ابن أخته من بين الموضوعات الأكثر شيوعاً ، وسواء كان نظام الأسرة يركز على إعطاء الأولوية لعصب الأب أو لعصب الأم فإن الخال أو العم يعد شخصية مهمة وذات مكانة الأمر الذى يولد صراعات على السلطة بين الأنساب من جهة الأب والأنساب من جهة الأم . وإذا ما كان التنافس بين الخال أو العم وابن أخيه أو ابن أخته شائعاً ، إلا أن التضامن بينهما يتغلب عادة .

## الصراعات بين الأجيال :

تنشأ الصراعات بين الأجيال داخل الأسرة الواحدة بين الأبناء والوالدين ، فهؤلاء لا يتورعون عن قتل الأب والأم للتخلص من مسئولية اطعامهم ، وهناك أيضاً الأب الذى يقتل ابنه للاستيلاء على إمرأته التى يرغبها ، وفى حالة الأم التى تقتل ابنتها لأنها كسرت أو أضاعت شيئاً خاصاً بها ، ويرجع غضب الأم إلى الشعور بأنها أصبحت إمرأة مسنة منذ وصول ابنتها إلى مرحلة البلوغ ، ومن بين صور النزاعات نجد صورة الملك الذى تنبئوا له بأن يكون له ابن يقتله ويأخذ مكانه ، ويحاول الملك قتل ابنه ، ولا يتمكن من ذلك ، وتحقق النبوءة .

ويذكر فى هذا الصدد أن قصصاً تحذر الشباب من الجهل وعدم النضوج ، وتسرد أسطورة من الكونغو أن مجموعة من الشباب لم يعدوا يستطيعون العيش تحت وصاية أشقائهم الكبار وآبائهم فيقومون بقتلهم جميعاً ، باستثناء واحد بينهم أخفى أبيه سرا فى قلب الغابة ... ، وتجدر الإشارة إلى أن الخلافات والصراعات بين الكبار والصغار معروفة تماماً ، فهي خلافات سياسية بمعنى أن الشباب يتنازعون السلطة مع المسنين الذين أسسوها بخبرتهم ومعرفتهم وحكمتهم ، وهناك عديد من الحكم والأمثال تعبر عن رفض هذه المعادلة:

- لا يجب الاعتقاد بأن الذقن الكبيرة هى علامة على الحكمة .

- استمع جيداً إلى نصائح من هم أقل منك سناً .

- إذا كنت الكبير فللصغير حق فى الاحترام .
- إذا كان الشعر الأبيض يدل على الشيخوخة ، فلا يوجد أعجز ولا أحكم من الخروف .

### معارضة النظام الإجتماعى :

تتناول عديد من الصراعات التى سبق ذكرها النزاع على القيم السائدة والنظام الاجتماعى القائم على النسب أو التسلسل الطبقي (بالسن) ، أو سلطة الزعيم .

وبادئ ذى بدء يوجد ميل للسخرية من القوة الشديدة التى غالباً ما يرمز إليها بالحيوانات أمثال الضبع والفيل والفهد الذين غالباً ما يفشلون فى أعمالهم ومحاولاتهم سواء من الغباء الذى يتمتعون به ، أو بسبب مكر واحتيال أحد الأصحاب الضعفاء أمثال الأرنب والغزال والعنكبوت ، وفكرة تغلب الدهاء على القوة غالباً ما تجسد فى صورة الطفل اللثيم بطل عديد من الأساطير حيث يحقق النصر دائماً لما يتمتع به من ذكاء ، وكلها أفكار تندد بتجاوز وانحراف الأقوياء .

ويتميز الإفريقيون كما يكتب Marcien Towa "بموقف متمرد إزاء الذات العليا " فأحياناً يؤكدون أنه لا ينشغل بشئون العالم ، وهو ما يعتبر بمثابة إبعاد له عن شئوننا، وإنكاره فى مجمل الأمر ، وأحياناً يستهزؤن به " .

والتضامن قيمة أساسية تسخر منه إحدى الشخصيات فى الأساطير من غرب أفريقيا ، فالعنكبوت وهو شخصية تتسم بالأنانية والمكر والدهاء والكذب والتبجح والطمع والشراسة وارتكاب المحارم ، وقتل الوالدين ، فهو لا يعرف سوى مصلحته الشخصية التى يضحى من أجلها ببساطة شديدة بالأب والزوجة والأبناء والحماة . فشخصيه وطابع العنكبوت السيئ ترفعه أحياناً إلى أبعاد ما وراء الطبيعة ، وهو وضع البطل الشيطاني الذى يسخر بلا ضمير من جميع القوانين البشرية ، ويخون ثقة الله ذاته ...

### حول مدى وحدود التربية فى الجماعات :

تتلخص السمات الرئيسية فى المجتمعات التى تناولها التحليل السابق فيما يلى :

١ - إن المجتمع يسهم بأكمله فى تربية الطفل ، لأن الطفل هو ابن المجموعة كلها وليس فقط للوالدين ، فالأقارب والأقران ، والقرية بأكملها يسهمون فى تربيته .

٢ - يتم إدماج عملية التربية فى أنشطة الحياة ، فالمدرسة مكان مغلق يباشر فيه معلمون متخصصون فى التعليم والتربية وفقاً لجدول زمنى محدد ، وبرامج متخصصة مستخدمين أساليب تعتمد على الكتب أكثر من اعتمادها على الناحية العملية ، وتتاح التربية فى المجتمع فى كل مكان أمام البالغ والطفل

فى الظروف الاعتيادية للعمل ، وحتى فى أوقات الفراغ .  
ولكن عملية التعويد على ممارسة شئ معين هى التى تتم فى  
غابة مقدسة .

٣- التربية ديمقراطية ، بمعنى أنها مجانية وشعبية ، وليس بها أى  
أوجه قصور ، لأنها تستخدم اللغة الدارجة ، ولا تقتصر على  
لغة الفصول والمدارس أو لغة أجنبية ، إذ تقوم أساساً على  
الملاحظة والتقليد المتاحين أمام الجميع . فالطفل يشارك  
فى سن مبكرة للغاية فى عملية الإنتاج ، كما أن أنواع  
وأشكال النشاط المرتكز على اللعب متاحة للجميع .

٤- تعطى التربية قيمة لعملية التماسك والتلاحم بين المجموعة  
إذ إن الدور الذى يتعين على كل فرد القيام به هو الذى يؤخذ  
فى الاعتبار .

فالتربية فى مجملها تهدف إلى تعليم الفرد كيفية أن يجعل  
لنفسه مكاناً داخل مجموعته ، وأن يحترم القواعد والقيم المعمول  
بها ، وأن يتكيف مع الدور الذى يسند إليه ، فالتفتح الشخصى  
لا يتم تقييمه بقدر ما يتم تقييم الجماعة ، والاستمرارية داخلها ،  
وعلى عكس ما يحدث فى الغرب ، لا يتم تشجيع الطفل على تنمية  
ذاته ، ولكن يتم تشجيعه على تنمية هوية مجموعته وروح الجماعة  
داخلها ، ومعنى المسئوليات قبل الآخرين ، وهناك تشجيع على  
المنافسة إلا أنها يجب أن تمارس فى صالح الجماعة سواء فى  
الأعمال الزراعية أو عمليات الصيد الجماعية .



ومن هنا يكون التركيز على تربية البدن الذي لا يعتبر هنا - كما فى المجتمعات الغربية - عاملاً يتميز به الفرد عن سواء أو حاجزاً يفصل بين الكائنات فيما بينها ، بل على العكس يتم تشكيله منذ ميلاد الفرد حتى يكون متشابهاً مع الآخرين ، ويسهم معهم فى حياة المجموعة ، فحينما تقوم الأم بحرث الأرض وطحن الذرة ، وحتى الرقص وهى تحمل طفلها فوق ظهرها فإن كل هذه الحركات تساعد على تنمية قدراته على الحركة بصورة مبكرة، وحينما يمشى الفرد أو يجرى أو يلعب فإن جسمه يتشكل بطريقة مباشرة وليس حينما يصل إلى سن البلوغ ، فهكذا يتعلم السباحة والتجديف واستخدام الرماح ودق الدفوف والرقص وكل الأنشطة التى تبلغ ذروتها فى فترات تدريبه ، ويكون من شأنها تقوية بدنه ، وتشكيل شخصيته على الشجاعة ، وتحمل المشقات من أجل خدمة مجتمعه ، وبعد هذا ألا يعتبر الجسم أول أدوات الإنتاج ، وألا يعتبر بالنسبة للمرأة أداة للإنجاب الذى هو بدوره قيمه أساسية؟ .

ويعتبر الجسم - فى المقام الثانى - أداة للإتصال ، فالإيماءة أحياناً ما تكون مكلمة لكلام أو تنوب عنه ، فالفارق الدقيق فى الحركة يعطى للكلام معنى خاصاً أو مختلفاً ، والقانون الثقافى يعلم كل فرد كيفية القيام بالتصرفات والمعاملات مع الآخرين وكبار السن والأقران .

ويعتبر بدن الطفل " مكاناً" لتسجيل العلاقات الاجتماعية

"فهو يقوم بدور الوسيط فيما يتعلق بالعلاقات بين البالغين ، ويتجلى واضحاً الاتصال بين الفرد ومجموعته فى أوقات الفرح والبهجة كأعياد نثر البذور ، وجمع المحاصيل وأعياد الآلهة والسالفين ، فهذه الأوقات المتميزة تستمد جذورها من العمل ، كما أن الفاعل الرئيسى هو الجسم ، فهذه الأوقات لا تتيح للجسم الاسترخاء وتجديد النشاط فحسب بل تسمح - بصفة خاصة - عن طريق الموسيقى والغناء والرقص فى الدخول فى علاقات مع الحركة الكونية والتزود بالقوى من أجل نقلها إلى المجموعة الذى يتأسس بداخلها الأفراد ، فالموسيقى والغناء والرقص تحقق دورياً وبصورة مكثفة التماثل مع المجتمع، وهكذا عرفت المجتمعات التى طالما وصفت بالبدائية و "التأخر" كيف تحقق منذ قرون ، بل وآلاف السنين غاية أهداف الفكر التربوى الحالى .

ولأن التربية الجماعية تتواءم تماماً مع الوسط الذى تتم فيه فهى تشجع الذكاء الملموس أكثر من الخاصيات أو الملكات التجريدية ، وهذا لايعنى أن هناك بعض أوجه القصور الوراثية أو الخلقية ، ولكن ببساطة شديدة فإن الوسط المحيط لا يهتم سوى بتنمية الطاقات والقدرات اللازمة لمتطلباته الخاصة.

ومن بين حدود التربية الجماعية يبرز الأسلوب الشفوى ، فالكتابه لم تخرج فى افريقيا الإستوائية ، وكانت هامشية إلا أن آثار عدم وجودها كانت جسيمة.

وفى حين يساعد الأسلوب الشفوى على إدماج التربية فى الأنشطة الأخرى نجد أن الأسلوب الكتابى يميزها ، وفى الحالة الأولى يعتبر كل نشاط تربوى بمثابة نشاط اقتصادى ودينى وسياسى فى ذات الوقت، إذ يتمكن الشاب من التعلم من سالفه عن طريق الملاحظة والتقليد والكلام ، أما فى الحالة الثانية فإن الكتابة تثبت المعلومة فى النصوص ، وتجعلها مستقلة وبالتالي تجعل عملية التدريب أو التمهين مستقلة أيضاً وغير مرتبطة بعمل ووجود المعلم ، وتجدر الإشارة إلى أن انتشار الاتصال والمعرفة والتربية عن طريق الكتابة لا يتم فقط بين الأفراد ، ولكن يتم أيضاً بين الشعوب الأمر الذى يعد أكثر أهمية ، فالمجتمع الذى يعتمد على الأساليب الشفوية هو مجتمع مغلق نسبياً ، وأن الناحية التربوية تكون أيضاً مغلقة لأنها تتطلب إقامة علاقة حسية بين المتعلم والمعلم فى وضع ملموس ، ولأنها تستبعد أى تربية ذاتية عن طريق وسائل إعلامية طويلة المدى (كالكتب...) ولأنها لاتنفتح على التيارات الدولية، أضف إلى ذلك أن الناحية التربوية لاتتيح التمكن من جمع ألوان من المعرفة خارج حدود معينة ، حيث إن المعرفة تنتقل إلى الفرد بطريقة شفوية ، فهى تخضع إذن لرحمة ذاكرة العقل البشرى والموت ، فالواقع أن الذاكرة تطورت بصورة مذهلة فى مثل هذه المجتمعات ، فهناك عدد من الحافظين للتقاليد الإفريقية الذين يتمكنون من سرد سلالات الأنساب منذ قرون عديدة ماضية، إلا أن عددهم نادر، كما أنه لايمكن استبعاد

بعض أوجه القصور بهم ، كما أن من الثابت أن عملية الكتابة لم تفلت من التخريب ، فلم يعد يعرف فك رموز جميع الاشارات فى بعض اللغات المكتوبة، فهل يمكن أن يقوم الطابع الديمقراطى للأسلوب الشفوى لسد كل هذه الأوجه من النقص ؟

لقد رأينا أن التعليم يتم باللغة الدارجة أو اللغة اليومية وأن الحصول على المعرفة مكفول لكل شخص ، ورغم ذلك فإن الأمر يتعلق بالمعرفة البدائية التى يصاحبها المعرفة الخفية والمكفولة فقط لعدد قليل من الذين يتعين عليهم كتمان السر .

فالتزعة الشفوية لاتعنى على الإطلاق الديمقراطية ، ولكن من الثابت أن الكتابة تعزز طرق التفريق والهيمنة الاجتماعية فى حالة ما إذا احتكرتها بعض الطبقات وجعلت منها أداة للسلطة يوصون بها لأطفالهم عن طريق التربية .

## الجزء الثانى

### الهند

## آسيا الوسطى وجنوب شرق آسيا ثقافة هندوسية وثقافة بوذية

### مقدمة :

يلاحظ التواجد الكبير للدين فى الهند وفى دول آسيا الوسطى وجنوب شرق آسيا مثل سريلانكا . بورما، تايلاند ، لاروس ، كامبودج ، حيث تنتشر المعابد فى كل مكان وترتبط كافة مناشط حياة الناس بالدين مثل أعمال الحقول ، والأعمال المنزلية والمناسبات الموسمية ، ولم تنجح الرأسمالية أو الماركسية فى التقليل من دور الدين فى حياة تلك الشعوب، وقد يرجع ذلك لأن الهندوسية والبوذية تمثل لهم أساليب حياة وتفكير وإحساس أكثر من كونها ديانات بالمعنى المعروف .

### دين ومجتمع :

ظل الدين مركزا للحضارة الهندية خلال أكثر من ثلاثة آلاف سنة، حيث كان مصدر الأنشطة الاجتماعية والفكرية ، وكذلك الملاحم والنصوص القانونية والعلوم والشعر والمسرح ، وهذه الإستمرارية ارتكزت أساسا على الإنتقال الشفوى بعكس ما حدث بالنسبة للحضارة الكبيرة الأخرى فى آسيا ، والصين فقد

فضلت الهند الكلمة المسموعة عن الكلمة المكتوبة

كانت الكلمة المسموعة مقرونة بالنصيحة ، وهى محور الديانة الفيدية التى يتطلب نجاحها النطق بتعبيرات خاصة. ولذلك كانت التربية لاتعنى القراءة ولكن أن تسمع المدرس وعليه بنت الهند ثقافتها ، واستمرت المعرفة عن طريق تواجد أساتذة وتلاميذ بلا توقف وانتقلت من عصر إلى عصر.

### العصور القديمة :

نشأت واحدة من أقدم الحضارات فى العالم على شواطئ نهر جندوس Indus، ويمكننا تبين ثلاث مراحل فى تاريخ الفكر الهندى ، وهى أيضاً بالتقريب تاريخ التربية خلال المرحلة الأولى ( ١٥٠٠ - ٥٠٠ ق . م ) والتى تدور مبادئها حول التضحية التى تعتبر الوسيلة للحفاظ على الإنسجام الكونى وتوفير السعادة المادية للبشر .

### حضارة الهندوس Jendus :

تكونت هذه الثقافة فى شمال غرب القارة على وادى نهر الهندوس Jendus من منبعه وسواحل بحر عمان حتى السهل الإيرانى ، ومارس الناس فيها زراعة البقول والقطن والرعى وتربية المواشى والتجارة مع مصر وآسيا الوسطى وجنوب الهند ، الشوارع مبنية حسب نظام دقيق ولها نظام تغذية بالماء ، وتشير

المعابد والمنازل والمقابر إلى تقسيم الطبقات الاجتماعية من رهبان وتجار وفنانين وعبيد ، وأهم ما يميز هذه الثقافة هي المعتقدات الدينية من عبادة النار والماء والثعابين والشجر .

والهندوسية هو الاسم الذى أطلقه المسلمون عند وصولهم لنهر Indus فى القرن الحادى عشر أولاً على سكان الدلتا ثم أطلقوه على عقائدهم وامتد ليشمل البلد كله .

### من الفيدا Veda إلى الفونديشية Voandisehd :

دخل الآريون شمال غرب الهند فى منتصف القرن الثانى ق. م وهم شعب اهتم بتربية المواشى ، ثم غزوا وادى الجانج Gange وأقاموا أول امبراطورية هندية هي امبراطورية Gaurye وتكون المجتمع من ثلاث طبقات هم المحاربون والتجار ومربو الماشية ثم الطبقة الرابعة التى تكونت من الشعوب المهزومة وهم ذو بشرة غامقة . ولايسمح بدراسة الفيدا إلا للطبقات الثلاث الأولى لأن التربية عن طريق الفيدا هي ميلاد ثانى فى عقيدتهم ، والديانة الفيدية مثلها مثل إيران القديمة مليئة بالآلهة التى تمثل أغلب القوى الطبيعية المتصلة بالتقسيمات الثلاث للكون : السماء والأرض والجو .

والفيدا تعنى المعرفة من المصدر Vid والذى يعنى مصدر الرؤية والفهم

### البراهماتية Le Brahmanesme :

تظهر فى نصوص البراهماتية رد فعل ضد الطقوس ، وهى

مستوحاه من تأملات الناسكين التى تحتوى على خلاصتها ،  
وتمثل أساس الفكر ومفاهيمه فى الهند حتى اليوم حيث تتغلغل  
فى حياة الأفراد وفى تربيتهم .

وكان الناسكون قادرين على السيطرة الكاملة على أجسادهم  
وأن يتخلصوا من واقعهم الحالى وأن يتدخلوا فى سر الكون .  
والهدف هو التحرر من أجل المعرفة وليس من أجل الطقوس  
والتي تساعد الإنسان على اكتشاف حريته .

### الدين والعلوم :

خلاف أدب الفيديين وما بعده تتضمن التربية العامة ستة علوم  
مرتبطة بالفيدا : الصوتيات ، القواعد اللغوية ، وعلوم الفلك ،  
وعلم نظم الشعر ، وعلم أصل الكلمة ، علم الطقوس ، وتأتى  
أهمية الأربعة علوم الأولى من مفهوم الكلمة كعنصر كونى .

وتطور علم الفلك بهدف تحديد مواعيد التضحيات  
الموسمية خصوصاً عند تغيير المواسم والفصول وفى عودة كل  
بداية عام . وحددت السنة بـ ٣٦٦ يوماً واستعار مفاهيم الأسبوع  
والساعة من علم الفلك اليونانى ، ولكنه تفوق عليه بفضل علم  
الحساب ، كما أن فكرة دوران الأرض حول نفسها والشمس  
ترجع لعالم فلك هندى هو يابهاثى Yabhaty فى القرن الخامس  
قبل الميلاد .

كما وضعت أسس علم التشريح باستخدام الحيوانات،



ولكنها توقفت لأن قواعد الصفاء البراهمانية كانت تمنع الأطباء من أى تعامل مع الدم أو الجثث ، وبالعكس كان اهتمام البوذية بصحة الرهبان وتمارين النفس كانت لها نتائج طيبة ، وكان علم النبات مهم جداً لتحضير الأدوية ، ووجهت الكيمياء لأهداف تحضير الأدوية.

وارتكز الطب على مفهوم التوافق بين الظواهر الطبيعية والسوائل الحيوية للجسم البشرى، وقد لخص فيجاتا Vegbata قواعد مهنة الطب فى الهند القديمة وهى نفسها القواعد التى وضعها هيبوقراط Hyppocrate فى القرن الرابع والخامس قبل الميلاد وهى: - لا تخسر ثقة مرضاك حتى إذا كلفك ذلك حياتك.

- لا يجب أن تتناول الخمر أو أن تقوم بعمل مكروه أو أن تكون لك علاقات مشبوهة .

- يجب أن تكون ودوداً وجاداً.

- يجب ألا تنشر أى معلومات عن المريض أو منزله ... الخ.

وهناك علم آخر تفوقت فيه الهند بجانب قواعد اللغة وهو الحساب ويرجع أورثوبه آن Orthubedan ذلك إلى أن الهنود كان لهم مفهوم واضح عن الرقم المجرد فى الوقت الذى كان اليونانيون يبنون علم الحساب على الهندوسية والقياسات ، واخترعت الهند علم الجبر البدائى والذى أدى إلى دراسة الرقم فى ذاته .

أما بالنسبة لعلم الهندسة فإن بناء المعابد بمساحات محددة وبعده من الطوب تحدده الطقوس قد أدى إلى وجود قواعد ثابتة فلم يتقدم مثل باقي العلوم .

أهم ما أتت به الهند كان الصفر والترقيم العشري الذي انتشر عن طريق البوذية في الصين وفي جنوب غرب آسيا ابتداءً من القرن الأول ، واستخدمه العرب عندما غزوا السند في القرن الثامن ، وقد استخدمه العالم الخوارزمي ( ٧٨٠ - ٨٥٠ ق.م ) في نظرياته الخاصة بالحساب والجبر ومن ثم انتشر في المشرق والمغرب العربي ثم دخل أوروبا في القرن الثالث عشر .

ومن هنا نتبين على عكس ما يعتقد البعض أن الدين لا يمثل عائقًا بالضرورة للإكتشافات العلمية كما في حالة الهند .

### **الانتشار الثقافي في آسيا :**

استطاعت الهند نشر حضارتها عن طريق الإرساليات والتجار مثلها في هذا مثل بقية الأمم، وعلى عكس البوذيين فإن البرهمانيين كانوا يخشون عدم الطهارة الناتجة من الأسفار وراء البحار في اعتقادهم، فإن البوذية سلكت طريقين :

### **الأول : الطريق البحري نحو الجنوب والشمال :**

مند القرن الثالث قبل الميلاد نشطت حركة التجارة والإرساليات إلى جنوب غرب آسيا لشراء البهارات المطلوبة في الإمبراطورية الرومانية ، والذهب ، وأخشاب السنت واللالئ

والأحجار الكريمة.

وأول كتاب بالسنسكريتية وجد في جنوب شرق آسيا في نهاية القرن الثالث في فيتنام الوسطى مقر دولة ليشامب Le champ التي استمرت خمسة عشر قرناً ، وقد وجد أقدم أثر للفن الهندي وهو عبارة عن تمثال لبوذا من البرونز . وكانت لغة السنسكريتية الهندية هي اللغة الأدبية والدينية بينما كانت تكتب القوانين باللغات القومية ، وتقدم دروس المعتقدات من فوق مسارح الظل.

### الثاني الطريق البري :

سلكت البوذية الطريق في الشمال لكرتيتشر في آسيا الوسطى وشرق آسيا ، فهو الطريق الكبير للتجارة بين الصين والهند والغرب ليتاجروا في الحرير والخزف الصيني والعاج وأحجار الهند والمصوغات البرونزية والزجاجية الرومانية ، وكان الهنود والإيرانيون يذهبون إلى الصين لكي يساعدوا في ترجمة النصوص البوذية إلى اللغة الصينية ، وكان الصينيون يتجهون إلى الهند لدراسة حياة وتقاليد الكهنة ولكي يتقنوا لغة السنسكريتية . ومنذ القرن الثامن كانت النصوص المكتوبة السنسكريتية تترجم إلى اللغة التيبية حيث سمحت بحماية معرفة الدين عندما اختفت تقريباً بالكامل من الهند على أثر الغزو الإسلامي .

## التربية فى الهند

تعد الهندوسية هى الأيدولوجية التى تقوم على أساسها التربية وذلك حتى بعد أن تغلغت الثقافة الأوربية . وقام البراهمة بدور الكهنة والمعلمين والمستشارين فى مجالات السياسة والإدارة والاقتصاد، وبعضهم كانوا يقومون بتعليم التجار والمزارعين ولقد أدى احتكار البراهمة للتعليم إلى تأثيرهم القوى على أفكار الناس التى تأثرت بدورها بالأدب السنسكرى الذى كتب عنه " ديلورى " .

ويرتكز نظام التربية فى الهندوسية على توازن الإنسان لأنها لاتغفل رغباته وغرائزه فهى تعتبر أن اللذة "كاما" والمصلحة "أرتا" من الغايات المشروعة فى الحياة حتى لو علق ذلك على الواجب الوطنى "دارما" . أما الخلاص أى "موشكا" فيبقى الهدف السامى . ولذلك فبالنسبة لأى هندي توجد أربع أهداف للحياة أفضلها هو الخلاص "موشكا" .

وهناك عدة طرق للوصول إلى الخلاص مثل المعرفة ، اليوجا ، وورع عبادة الإله المختار ، أما النصوص المقدسة فهى تنص وتحبذ الجمع بين كل ذلك .

والمعرفة أو الاعتقاد لا يحصل عليها الإنسان من خارج ذاته، بل هى كنز خفى يجب البحث عنه واكتشافه فى أعماق النفس البشرية بالتأمل ، وذلك بعد التأثر بأحد " الجورو " أى المعلم .

ولا تمثل " اليوجا " جزءاً هاماً فى عقيدة الهندوسى فحسب ، بل هى تدخل فى جميع الديانات الهندية منذ قديم الأزل وفى مطلع الحضارة الهندوسية القديمة ، واليوجا لاتعرف إزدواجية الروح ، ولكنها تهتم وتسعى إلى السيطرة والتحكم فى كليهما . وهى عبارة عن منهج للتقشف والتأمل " بنتاجالى " بنقل أفكارها القديمة وجمعها فيما يعرف باسم " يوجا شوترا " ، كما وضعها فى إطار نظرى تحت اسم " سامخايا " . وترى " اليوجا " أن العالم قد نشأ من مادة أولية من أجل خدمة الروح .

وفى المعرفة " اليوجا " وحدها لاتكفى بالرغم من كونها تمهد الطريق لسلام النفس ، ويمكن الوصول إلى الخلاص بالتركيز فى شئ واحد سواء كان شكلياً أو عقلياً أو إلهياً ويكون ذلك بفضل مجموعة من التدريبات النفسية والعضوية والذهنية كالآتى :-

- ١ - المحظورات (ياما) : عدم الإيذاء ، عدم الكذب ، عدم السرقة ، عدم الجشع .... الخ .
- ٢ - الدروس (نياما) الجسدية والنفسية : النظافة ، اعتدال المزاج ، التقشف .... الخ .
- ٣ - وضع الجسم (اساتا) : يجب أن يكون وضعاً ثابتاً ومريحاً من أجل ممارسة التأمل .
- ٤ - التحكم فى التنفس باعتباره الطاقة الحيوية "براناياما" .

٥- تخليص الحواس "براتياهارا" من تأثير الأشياء الخارجية مما يساعد على الانتباه لنقطة واحدة "ايكاجراتا" .

٦- قوة التركيز " درانا" .

٧- عمق التأمل " ديانا" يكتشف الشخص عالم الجوهر وعالم الحقيقة.

٨- النشوة الداخلية " السماذى " تتحد روح ممارس اليوجا مع روح البراهمانى الشاملة.

وقبل تنفيذ هذه التدريبات يجب التعرف التام على جسم الإنسان وعلى الصلة بين المظهر المادى وبين الجانب العقلى .

وبالنسبة لمذاهب " التنزاسية" أحد مذاهب الهندوس ، فإن الزهد لا يعد هدفاً فى ذاته ، فهو ينادى أيضاً بفكرة الخلاص ولكن عن طريق اشباع الغرائز . والطريقة الأخيرة للخلاص هى " الباكتى" أى عبادة الآله المختار وتعنى بضرورة إخلاص العابد فى التفكير فى خالقه ، وشعبية طريقة " الباكتى" لا ترجع إلى سر هذه الطريقة فحسب ، ولكن هناك أسباب أخرى مثل تعدد الطوائف وانتشار تساييهم .

### " دراما" أو الواجب نحو الوطن :

تعنى "دراما" معان كثيرة فيقصد بها نظام الكون والناموس الأبدى الذى ينظم العالم ويرتفع به إلى مرتبة السمو ، وتنص قوانين " الدراما" - التى من أشهرها " المانافا" - على القواعد

التي يجب اتباعها وحتى يسير العالم بطريقة سليمة ، كما تنص على العقوبات التي توقع في حالة الإخلال وعدم احترام هذه القواعد . ومن هذه القواعد أن نؤدى واجبنا مع الزهد التام في نتائجه ، قم بواجباتك المفروضة لأن العمل أفضل من عدم العمل.

وتوجد قواعد تحدد الواجبات المنوط بها كل طبقة من طبقات المجتمع . وعلى كل الطبقات الامتناع عن الإساءة للآخرين ، وقول الحق دائما ، والامتناع عن السرقة والتطهر والتحكم في جميع الحواس .

### "أرتا" أو المصلحة الاقتصادية :

إن "الارتا" هي امتلاك الثروات والمحافظة عليها ومضاعفتها وتوزيعها ، ويعد من أهم الأهداف في حياة الفرد، وفي امبراطورية موريا ( ٢٨٩ - ٣١٣ ميلادية ) ألف الوزير "كوتيليا" دراسة عبارة عن ملخص لعلم السياسة والاقتصاد أو بالأحرى السياسة التي تحقق الرفاهية الاقتصادية وهي نظرة غاية في الحداثة، والخطوات التي يوصى بها لها طابع اشتراكي وأحيانا أخرى لها طابع ليبرالى ، وهو عمل تطبقى أكثر منه نظرى . ويرى أن شخص الملك لا يهتم بقدر أهمية منصبه الذى يتولاه . إن واجبه الأول حماية رعاياه أنفسهم وأملاكهم .

### التربية البوذية :

ترتبط الأفكار البوذية إرتباطاً وثيقاً بالتقاليد الهندية ، ونظام

التربية فى العقيدة البوذية يعيد ويكرر بعض مبادئ البراهمة مثل علاقة المعلم بتلاميذه ومريديه ومبادئ الحياه والنظام المعنوى الأخلاقى الذى يفوق فى أهميته الدراسة الذهنية والشئ الذى يميز البوذية هو التركيز على فكرة " الفيهارا " أى الدير ، وبالنسبة لبوذا فإن طريق الارتقاء الروحى يعنى التخلّى عن كل الروابط من أجل حياه التأمل .

### المبادئ التربوية التى نشرها " بوذا " :

إن لرسالة " بوذا " كلها هدف واحد وهو الخلاص مثلها مثل المحيط الواسع الذى يتميز كله بطعم الملح . إنه نشر ما توصل إليه بعد سنوات من الزهد والتأمل ، وخلال خمس وأربعون سنة تحدث فيها إلى كل الرجال والنساء بدون تمييز لطبقة أو نوع وفى لغة سهلة .

ومن حكم " بوذا " أن المعلومات تتغير باستمرار وأن ما يعرف بال " أنا " ليس إلا مزيج مؤقت من تراكمات شكلية وذهنية تخضع لقانون السببية .

ولكى يكون " بوذا " أكثر وضوحاً فى عرض تعاليمه فإنه يلجأ إلى التكرار أو التشبيه والحكايات وجميعها وسائل تربوية . ويشير فى كثير من مواضعه إلى أهمية وجود المعلم الكفء حتى يقود مريده إلى طريق السمو الروحى الداخلى . وهو يجعل كل إنسان مسئول عن مصيره بالمجهود الشخصى ، ويؤكد أهمية العقل والمنطق ، ويؤكد على تلاميذه ألا يقبلوا الحقائق بدون أن



يختبروها - كما يختبر الحديد فوق النار - ثم يقبلونها بعد ذلك .  
ويشجع " بوذا " أتباعه على حب النقد ويدعمه بروح التسامح  
فيما يتعلق بأراء الآخرين فيقول :

" إن كل شخص يؤمن بشئ ما ، فإذا قال " أنا أؤمن بذلك "  
فهذه حقيقة ، ولكن عليه أن يعتقد بأن هناك حقائق أخرى في  
الوجود . فالتعلق بشئ ما أو برأى معين لايجوز كما لايجوز أيضاً  
احتقار آراء الآخرين . فلا تتعلق برأى واحد فقط ولو كان تعاليم  
" بوذا " نفسه . وتلك التعاليم تشبه الألواح الخشبية التى يستخدمها  
الإنسان فى العبور من ضفة النهر إلى الضفة الأخرى وليس  
التشبث بها " .

#### التربية داخل المعبد :

التربية داخل معابد " بوذا " ليست نوعاً من الهروب من  
مشكلات الحياة أو من الإلتزامات الإجتماعية ، ولكنه بداية لحياة  
طويلة وشاقة تتصف بالزهد .

وقواعد التربية هى نفس القواعد الخاصة بالجماعة ، فالحياة  
الدينية عبارة عن تدريب على حياة وسلوك يتسمان بالطهارة  
التامة ، فيحلق الفرد ذقنه وشعر رأسه ويرتدى الملابس الصفراء ،  
ويستمع لنصوص للمنوعات العشر التى تحرم إتلاف الحياة ، أخذ  
مالم يعط له ، مباشرة علاقات جنسية غير مشروعة ، الكذب ،  
احتساء الخمر ، الأكل فى غير الأوقات المحددة لذلك ، الرقص ،

الغناء ، حضور الحفلات ، وضع أكاليل الزهور ، لبس المصوغات والمجوهرات ، ارتداء أطقم الزينة ، استخدام العطور والمساحيق، استخدام الفراش أو الكراسى الفخمة وقبول الذهب أو الفضة.

وتقوم التربية في البوذية مثلها مثل البراهمانية على أساس العلاقة بين المعلم والمريد ، ويجمعهما احترام متبادل وثقة ، وطاعة المريد لمعلمه في كل شئ أمر واجب .

والحياة في الدير تتميز بالبساطة التامة . فلكل راهب ثلاثة أثواب يرتديها مع كشف كتفأ واحدة كما يرتدى حزاما . ويخصص له إناء لجمع الصدقات وموسى حلاقة وإبرة للحياكة ومصفاة لترشيح الماء ومسواك وعصا .

وتعتبر " العفة " بمثابة ثانى القواعد الأساسية التى تطبق داخل الدير ، أما حب العزلة فهو القاعدة الثالثة فى البوذية التى تشجع العزلة الفكرية أكثر من العزلة الجسدية ويصل إليها الشخص إذا ما استطاع أن ينفصل تماما عن الماضى وعن المستقبل . ويتم ذلك بالتحكم التام فى الحاضر.

وتسير حياة الراهب على وتيرة واحدة لا تتغير ، يستيقظ قبل طلوع الشمس فيغتسل وينغمس فى تأمل الكون من حوله بعد أن يشرب قليلاً من الماء واللبن وبعد أن يأكل بعض الفاكهة يتوجه

إلى القرية وفي يده إثناء جمع الصدقات فيضع فيه قليل من الطعام الذى يقدم له كنوع من الإحسان وعليه أن يأكله قبل حلول الظهيرة . وتعتبر تلك الوجبة الوحيدة التى يتناولها فى النهار ويخصص وقت العصر للدراسة والتأمل أو لتعليم المستجدين من الرهبان ، وعند غروب الشمس يشارك الراهب أهل القرية فى جلسة عامة يجيبهم فيها عن بعض المعلومات ويعطيهم بعض النصائح النافعة. ثم يغتسل ويتحدث فترة أخرى مع تلاميذه ثم يخلد إلى النوم .

ونتيجة للتنافس مع المذهب الهندوسى ، تحولت الأديرة البوذية إلى مراكز للأنشطة الثقافية حيث يتعلم الرهبان ، وكذلك العلمانيين المقتدرين تعليماً متنوعاً بين العلوم الفقهية لمختلف المذاهب إلى علم النحو والمنطق والحساب والطب والفنون الجميلة ، والعلوم السروية والتنجيم .

وكانت جامعة " نالاندا " من أشهر الجامعات وتأسست فى القرن الأول ومازالت آثارها باقية بالقرب من " باتنا " حيث شيدت جامعة بوذية وكانت فى أوج عظمتها فى القرن السابع الميلادى ، وبلغ عدد الرهبان الذين يدرسون كل العلوم حوالى عشرة آلاف راهب ، ويدخل طالبو العلم يومياً فى الجامعة يتلقون مختلف العلوم على أيدي معلميه من الرهبان وضمت مكتبة الجامعة ثلاثة مباني يضم كل منها تسعة طوابق .

واشتهرت جامعات أخرى مثل جامعة " فالابى " وجامعة "

فيكراماسيلا" في نهاية القرن الثامن والتي تضمنت ست كليات ومائة وثمانية معلم وحصل كبار المعلمين على لقب "باندت" الذي ينعم به الملك عليهم ، ولقد هدمت كثير من هذه الجامعات إبان عصر الفتوحات الإسلامية.

### التربية عند العلمانيين :

العلماني ( من غير اتباع بوذا) الذي يعيش حياة مستقيمة و طاهرة فلا يؤذى أحداً بعمل أو بلفظ أو بفكرة يدخل أيضاً في تيار الخلاص ، فالعلمانيون مطالبون بالتحلى بخمس خصال حميدة وهي : الإيمان ، الأخلاق ، الصدقة ، التعليم والحكمة.

وتحولت البوذية في كثير من الدول إلى ديانة الدولة ووسيلة الحكومة للضغط . وتطالب البوذية أفرادها بالإيجابية فمثلاً الامتناع عن القتل لا يقصد به القتل في حد ذاته ، ولكن المفهوم الحقيقي لهذه القاعدة هو حماية الكائنات الحية والحفاظ على حياتها أي احترام حقها في الحياة .

ومن عادة الدول التي تدين بكتاب " تيرافادا" أن يقضى الصبية من سن خمس إلى اثنتي عشرة سنة - بضعة أعوام في المعبد حتى يتعلموا القراءة والكتابة والحساب بجانب مبادئ الدين والسلوك الاجتماعي .

### التربية

لم يتغير - بصورة ملموسة - مضمون وأساليب التربية في

آسيا الوسطى وجنوب شرق آسيا وفى الهند حتى القرن التاسع عشر ، وهى لاتعتمد على المكتوب ، ولكن على المنطوق وعلى العلاقة الوثيقة بين الأستاذ والتلميذ وهذا ما أسهمت به البوذية ونقلته إلى كل آسيا .

### التأهيل :

التربية الأولى للطفل تتم فى العائلة من اهتمام بصحته وتغذيته وتعويده النظافة ، وفيما ما بين الثالثة والخامسة ، يتم حلق الرأس مع ترك خصلة شعر فى أعلى الرأس ، ويتعلم الطفل الاستيقاظ مبكراً ، وأن يغسل أسنانه وعيونه وأن يتناول وجباته فى ساعات ثابتة مع تعلمه القراءة والكتابة ومبادئ الحساب عن طريق معلم العائلات الميسورة أو عن طريق مدرسة القرية أو الحى وهى غالبا ما تكون ملحقة بالمعبد المجاور ، وفى هذه المدارس يجلس التلاميذ على الأرض حول المعلم فى ظل شجرة ويمسكون بلوحة خشبية أو بورقة نخلة يكتبون عليها بأقلام يغمسونها فى جبر مصنوع من كربون الخشب ، وتستمر هذه التربية الأولية حتى مرحلة التأهيل وتستمر الدراسة من خمس إلى اثنتى عشرة سنة حيث إن المسئوليات المستقبلية تختلف حسب المستوى الاجتماعى ، ولهذا السبب يتم التأهيل فى سن الثامنة بالنسبة للبرهمانى الذى من واجبة الدراسة والتدريس وفى سن الحادية عشر أو الثانية عشر يتم التأهيل لغير البرهمانى ، ويتم هذا التأهيل فى احتفال رسمى .

## حياة الطالب :

يعتبر التاهيل بمثابة مولد ثان بالنسبة لأعضاء الطبقات الثلاث العليا وبذلك يكونون قد ولدوا مرتين ، وهو حياة كلها دراسة ونظام وخدمة ونكران للذات ويترك التلميذ عائلته لكي يعيش مع أستاذه مع بعض الزملاء . وعادة ما يكون المكان المناسب لذلك بالقرب من غابة بعيداً عن ضوضاء المدينة . وفي هذا تختلف التربية في الهند عن الصين في مدى ارتباط الحضارة بالكتابة ، وعن أوروبا في ارتباطها بالمدينة.

ويتأكد المعلم من أن تلميذه لديه مستوى فكري ونفسي يثبت به أنه يستحق تلقى هذه التربية . وتتضمن الدراسة بخلاف الأدب العلوم المساعدة مثل قواعد اللغة وعلم الفلك وعلم الصوتيات ، وبعد أن يتم الشرح الجماعي ، يقوم كل تلميذ بمجهود شخصي لكي يفهم تماماً معنى النصوص .

وتتصف التربية في الهند القديمة باستقلالية كل فرد في إثبات ذاته والتحاور ورفض التعليم الذي لا يستهويه .

ووجود التلميذ ليس فقط موجه للدراسة ، فهو يقوم أيضاً بخدمة الأستاذ الذي يقيم في منزله والذي يعامله كأحد أفراد أسرته ، فالتلميذ يستيقظ مع الضوء الأول للنهار ويؤدي صلاة الشمس ويعيدها مع غروب الشمس ، فإن الله هو المسئول عن تواصل الليل والنهار والذي يقود البشر إلى العمل وإلى الراحة.

ويذهب التلميذ مرتين في اليوم إلى الغابة من أجل قطع الخشب للحصول على النار والتدفئة ويحجى بالماء لأستاذه ، وهو يتسول الغذاء من القرية ماعدا المجرمين منهم ، وحياته تسير على نهج صارم فهو لا يأكل العسل ولا اللحوم ولا يتزين بالعطور ، ويبعد عن أى سلوك غير سوى ، ويتجنب الغضب والرقص والموسيقى والغناء والمعارك ، وأخيراً يرعى الغنم ويهتم بزراعة أستاذه .

إذن فهي تربية متكاملة تتضمن الاهتمام بالتربية مع العمل ، تؤهله لحياته المستقبلية، فإن الهدف من العمل اليدوى والتسول يؤدي إلى تكوين الشعور لديه بأهمية العمل ، والتواضع والمسئولية بخلاف التكوين الجسدى .

وتشير النصوص إلى طريقة تربية الأفراد فيتم إرسالهم عندما يبلغون السادسة عشر من عمرهم إلي الخارج من أجل استكمال دراستهم وتربيتهم حتى يتعلموا كيفية الحد من غرورهم وتحمل الحر والبرد وأن يتعلموا التصرف في المجتمعات .

#### الدراسات العليا :

توجد عدة معاهد تسمح للشباب باستكمال الدراسات العليا " الباريشاد" وهو عبارة عن جلسة تجمع من ثلاثة إلى خمسة علماء يتناقشون في المسائل الفلسفية والدينية كما كان يقوم الطلاب بالتسجيل في الجامعات الشهيرة مثل " تاكسلا" عاصمة غندرا، وسن الالتحاق بالجامعة هو السادسة عشر وقد ازدهرت

الجامعات فيما بين القرن السابع قبل الميلاد والقرن الرابع بعد الميلاد .

وكانت الدراسة تتناول شتى أوجه المعرفة مثل القانون ، الفلسفة ، الحساب ، علم الفلك ، والسحر ، والموسيقى ، والشعر ، والزراعة ، وتربية المواشى ، والتجارة ، والادارة ، والطب ، وفنون الحرب ..... الخ .

وفي جنوب الهند كان يوجد معاهد عليا غالباً ما كانت متصلة بالمعابد ، وكان بعضها يملك أماكن لإقامة الأساتذة والطلاب وحتى المستشفيات ، وكان التمويل يأتي من الهبات المقدمة من الأمراء والخاصة ، كما كانت هناك مراكز بحوث تجمع بين بعض المثقفين وكانت تمويل بنفس الطريقة .

#### تربية المرأة :

استبعدت المرأة في هذا النظام لأسباب دينية لأن واجبها الأول هو أن تنجب أطفالاً لزوجها .

ويبدو أن المرأة كانت تتمتع في العصر الهندوسي بمكانة رفيعة ، فقد مجدت في كثير من الأشعار ، ويجب على المرأة أن تحترم زوجها كالإله حتى وإن كان بلا حسنات أو حتى منحرفاً . يجب أن تكون دائماً فرحة ، وربة منزل ممتازة ، ومدبرة ، وصبورة .

#### التربية عن طريق المعلومات :

بجانب التربية الأسرية أو التربية ذات الطابع الدينى ، كان



هناك تربية متاحة عن طريق المعلومات يتلقاها الفرد من المجتمع الذي يحيط به أو من مهنته . كل مجتمع يعبر عن نفسه بكل المظاهر الدينية والفنية والأدبية خصوصا وأن المجتمع أمي . ويجب عدم الخلط بين الأمية والجهل وعدم المعرفة ، فالمجتمع مع أنه أمي إلا أنه يشارك بالكامل وبصورة مكثفة في الحياة الإجتماعية والثقافية حيث إن حضارته حضارة شفوية في الأساس .

والمعبد هو أهم شئ في المجتمع فهو ليس فقط مكانا للعبادة وإنما وجوده وطريقة بنائه والصور التي تزينه تؤهله كي يعلم ويشقف الشعب ، وأحد روائع التماثيل الهندية هي "السيفا" التي تمثل الأعمال الخمسة للآله : الخلق والوجود والهدم وتحطيم الجهل ونعمة الرضا . و" سيفا" ذو الأربعة أذرع يدوس بقدمه على شيطان قزم يرمز إلى الجهل .



## الجزء الثالث الصين - اليابان النظام الوظيفى والإقطاع

### مقدمة :

بينما كان التأثير الهندى واضحاً على آسيا والجنوب الغربى ، كانت الصين تؤثر على كل الجزء الشرقى من القارة ؛ كوريا واليابان وقيتا نام الذين أخذوا عنها اللغة الكلاسيكية الخاصة بها وكذلك بعض المؤسسات السياسية ، والبوذية التى أتت من الهند عن طريق الصين قد انتشرت فى هذه البلاد وتفاعلت بدرجات متفاوتة مع المعتقدات الدينية القديمة .

وتأكدت شخصية اليابان أكثر من الدول الأخرى حتى أنها تفوقت اقتصادياً على النموذج الذى اتبعته ، وقد يرجع ذلك إلى أن اليابان استمدت فى القرن التاسع عشر تقنيات إدارية واقتصادية وعسكرية وعلوم أساسية وتطبيقية . بالإضافة للخصائص الثقافية والطابع القومى اليابانى .

ومنذ توحيد كين Quin فى الصين فى القرن الثالث قبل الميلاد والتى حلت محل الملكية الخاصة الأولية ، حل نظام حكومى بيروقراطى استوعب الطبقات الوسطى والشعبية ، وكونت الكونفوشية أيديولوجيتها على ضرورة الطبقات الاجتماعية وقد مرت اليابان من سيطرة ارسقراطية البلاد إلى

سيطرة الساموراء منذ القرن الثانى عشر ، وقد اتبع التوكوجاوا  
Tohugause الكونفوشية الجديدة كنظام رسمى أصلى من  
البوذية فى تكوين كوادى الإدارة والتوحيد المعنوى للأمة بعد أن  
كانت تتبع زن zen وهى مدرسة السيطرة على النفس واحتقار  
الموت.

### الإنتاج المكتوب والحضارة :

الحضارة الصينية هى حضارة الكتابة ، ويرمز للإثنين بتعبير  
واحد Wen (وان) هو فى الأصل يرجع إلى كل أنواع الرسم  
وبالأخص على قشور جسد السلحفاة المعرضة إلى النار والتى  
يحولها الكهنة إلى رموز تجاوب على أسئلتهم . وجدير بالذكر أن  
العظام وقشور الحيوانات التى تم اكتشافها تعود فى أغلبها للقرن  
الثالث عشر والثانى عشر قبل الميلاد . إذن فالكتابة قديمة قدم  
الحضارة الصينية.

يعنى تعبیر " وان " Wen فى معناه الضيق الكتابة والأدب،  
وفى معناه العريض مجمل الثقافة : الموسيقى ، الفنون، الشعائر ،  
.... الخ. كما له معنى أخلاقى ، فهو يشير إلى الحضارة  
" Wenhua " ويعنى بالتحديد " التعبير (الثقافى) بالكتابة " . وهى  
فكرة مختلفة تماما عن المفهوم الغربى والإسلامى للحضارة  
المتمركزة على " المدينة " Dioud . وكانت أقدم رموز الكتابة  
هى الكتابات المسجلة على عظام وقشور السلحفاة ، إذ كانت  
الكتابة نابعة من التدين وبالتالى كانت تخدم الانضباط الشامل لكل

الأنشطة الاجتماعية وفي الوقت الذي كانت فيه أوروبا تؤكد على النسبية الخطية كانت الصين تتجه إلى دراسة العلاقات من الداخل "للأنظمة المغلقة".

والفكرة الأساسية هي أن هناك نظام للكون يتكون من قوتين أساسيتين هما "يانج" و "يـين" والذي بفضل تفاعلهما يدور الكون . وأن الإنسجام يتم عندما يتفق معهما النظام الإنساني ، كما أن تأمل الأرقام كمبادئ لتنظيم المكان والزمان لم تساعد فقط على وجود علم الفلك والبوصلة والنتيجة ، ولكنها مهدت للتطبيق العلمي . وحيث العظام وقشور الحيوانات تتكون غالبا من ثلاثة أجزاء : بيان الملك ، التنبؤ المستمد من دراسة التصدعات ، التأكد من التنبؤ .

وإذا كانت الكتابة تقوم بنقل الحضارة ، فهي تفعل نفس الشيء لكل شيء يساعدها على الانتشار : الريشة ، الحبر ، الورق ، والحبر الصيني "مو" ( سواد الدخان في محلول صمغ ) وقد وجد عظام كهنة مكتوب عليهم بالحبر والريشة وعلى بعضهم وجد رسم يصور يدا تمسك بريشة ترجع إلى القرن الحادي عشر قبل الميلاد .

وبعد ذلك كانت الكتابة تتم على قطع من البامبو أو الخشب مجمعة لتكون كتباً على حرير أو على ورق في مرحلة أخرى ، ويرجع اختراع الورق إلى عام ١٠٥ بعد الميلاد وهناك مرحلة أخرى خاصة بتسجيل النصوص الكلاسيكية الكونفوشية والصور المرفقة بها ما بين عام ١٧٥ و ١٨٣ ،

وأسهمت البوذية في اختراع الطباعة ، لإنتشار الكتب المقدسة ، وأقدم طريقة للطباعة ترجع إلى عام ٨٣٥ - وهي الزيولوجرافيا - بواسطة ألواح حفرت عليها الحروف، واستخدمت حروفاً متحركة مصنوعة من الفخار منذ القرن الحادى عشر ثم صنعت بعد ذلك من الخشب ومن المعدن ، مما ساعد على زيادة انتشار الثقافة والتربية.

والكلمات وفقاً للمفهوم الصينى ليست مجرد كلمات فهى أيضاً قوى مؤثرة . فمثلاً مفاهيم الزمان والمكان فى الحضارة الصينية لا يشيران إلى المكان فى حد ذاته ولا للزمان فى حد ذاته ، فإنهما مجردان . ونجد أن الشروق مقرون بالربيع ، والغابة ، والنجوم ، والهواء ، إلخ ، والجنوب مقرون بالصيف،والنار ، والشمس ، والحرارة .... إلخ .

وأدى هذا الإتجاه المحسوس للكلمات بالصين إلى تطور علمين مرتبطين هما : علم الحساب وعلم الفلك منذ القرن الرابع عشر قبل الميلاد ، وكان لعلم الفلك وظيفة مزدوجة ذات طابع سياسى من ناحية، وطابع دينى واجتماعى من ناحية أخرى. والإتجاه المحسوس للفكر الصينى يوضح كيف انتصرت الكونفوشية على الطاوية والبوذية لأنها فلسفة إجتماعية تهدف إلى حكم جيد للبشر ، وتعتمد التربية فى الصين القديمة على التمييز بين خمسة أنواع من المعرفة ؛ السمع ، والاستدلال ، والربط بين الحقائق والمفاهيم ، والفعل ، وتفاعل الطبيعة مع الانسان . وأن

نبحث لماذا الشئ يصبح هكذا ، وأن نظهر أوجه التشابه والخلاف ، وأن نصف ونقارن ، وأن نستخدم مسميات ملموسة ، وأن نتبين العام والخاص ، والجزء من الكل ، والسبب الأساسى والسبب الفرعى .

### المدارس الفلسفية والتربية

#### التربية الاقطاعية :

بعد زوال حكم آل شانج ( من القرن السادس عشر إلى القرن الحادى عشر قبل الميلاد) تولى آل زو ( من القرن الحادى عشر إلى القرن الثالث قبل الميلاد) ، وفى ذلك العصر كان الإقطاع يركز على أوامر الدم مختلفاً فى ذلك مع الإقطاع فى أوروبا القائم على عقد التبعية .

فقد كان السيد يوزع على أتباعه أراضى لإدارتها ( فنج جيان تترجم بإقطاع) بحيث يمد نفوذه فى جميع الأرجاء ، وكان المجتمع حينذاك ينقسم إلى طبقتين : النبلاء وجموع الفلاحين .

وكانت تتم تربية الصبية أولاً من أبناء النبلاء فى مدارس الدائرة أو البلدة بين سن العاشرة والعشرين . بينما تمكث الفتيات فى البيت ليتم إعدادهن لدور الزوجة والأم .

وكان هناك اهتمام بتعليم أولاد النبلاء فنون القوس حيث إن الحرف كو" الذى يعنى ادرس وتعلم " كان يمثل فى الأصل قاعدة

مخصصة للرمى بالقوس . ومن بين ستة فنون (ليوي) كانت ترتيبها يأتي بعد الشعائر والموسيقى وقبل قيادة العجلات الحربية والكتابة والحساب .

والشعائر لا تفهم بالمعنى الضيق لاحتفالات نصت عليها الطقوس الدينية ، ولكنها مجموعة من القواعد تطبق على المجتمع بأسره وعلى جميع أعضائه بهدف تحقيق النظام الكوني والإنساني .

وطبقاً لتعاليم كونفوشيوس فإن المجتمع ينظم نفسه تبعاً للشعائر وبالبحث عن معاني الأشياء بما يحقق توائم النظام الاجتماعي مع نظام الطبيعة .

وتحكم العقل في الثقافة الصينية عبارة عن البحث عن بناء شكلي للواقع الخارجي لتواكب الحركة مثل النحات الذي يبحث عن خطوط الحجر لتتناغم مع حركة أدواته ، وسيادة النظام بين الناس تنتج أساساً من العقلانية الشكلية للعلاقات التي تعتبر طبيعية بين الأشخاص؛ أي العلاقات الأسرية وليس عملاً مفروضاً من قبل جهاز مصطنع تابع للحكومة .

وكتب "ليجي" أن الرمي بالقوس هو الطريق لإقامة علاقات إنسانية على الوجه الأكمل - فالذي يصوب القوس يبحث عن انضباط الرماية في ذاته ، ثم إنه لم يطلق سهمه إلا بعد أن يراجع سلوكه هو شخصياً . وإذا لم يصب الهدف فإنه لن يشعر بأي عداء تجاه المنتصر بل سيعود إلى نفسه للبحث عن علة هزيمته بداخله .



ولقد استمر التعليم شفويًا في البداية وحتى القرنين العاشر والتاسع قبل الميلاد ثم أصبحت هناك مادة مكتوبة على مدى ثلاثة آلاف عام ، ويعد كتاب الأشعار أقدم نص "شيجنج" ويحتوى على أغاني ريفية وأناشيد تمجد الإحتفالات بالتضحية على شرف الأجداد وتفسر تارة كمديح للحكام وتارة أخرى كشكاوى ضد الحرب والضرائب وفساد الموظفين .

واكتملت نظرية مقابلة عناصر الطبيعة مع العناصر الإنسانية في عهد آل هان ، والفكرة الأساسية هي أن الحكم الجيد يؤدي إلى التوافق بين الطبيعة والمجتمع الإنسانى ، ومن الكتب الكلاسيكية التى ميزت هذه الفترة : كتاب التحولات "يجيتج" وهو مرجع بسيط عن التنجيم ، وكتاب " مذكرة عن الشعائر" ليجى و " مذكرة عن الموسيقى" ليوديجى و " حوليات فصول الربيع والخريف شونكين" وهو عبارة عن تاريخ دولة لو - وطن كونفوشيوس فيما بين ٧٢٢ الى ٤٨١ قبل الميلاد .

وقد أدى تدهور دولة آل ذو فى القرن الثامن قبل الميلاد إلى مرحلة طويلة من الأزمات وتكوين إمارات كبيرة تتصارع للسيطرة ، وساعد ذلك على اختراع العربى التى تجرها الخيل ، وانتشار الأدوات المصنوعة من الحديد المنصهر وتجفيف البحيرات ، وإقامة السدود على الأنهار ، وتطلب هذا النمو إرساء إدارة منظمة وكوادر متعلمة وتبع ذلك ظهور طبقة من المتعلمين وسيطة بين الأمراء والتجار والفلاحين ومستشارين سياسيين ودبلوماسيين

متخصصين فى الحرب والشعائر وطرق إطالة الحياة.

وكانت المدارس تعتمد كما هو الحال فى اليونان قديماً ،  
على العلاقة بين الأستاذ والتلميذ ، الحوار والدرس الأخلاقى . أما  
اتباع مذهب التاوية فهى تعتمد على التضاد .  
الكونفوشية :

مؤسس هذا المذهب هو كونج فوزى (٤٧٩ - ٥٧١) وقد  
تحوّر الاسم باللاتينية ليصبح "كونفوشيوس" وهو ينتمى الى طبقة  
الكتبة وكان يرغب فى إصلاح المجتمع الاقطاعى ، وقام برحلات  
مع تلاميذه متنقلاً من مملكة إلى أخرى لمدة ثلاثة عشر عاماً على  
أمل العثور على أمير ينصت إليه وعندما أصيب بالإحباط مثل  
أفلاطون عاد إلى بلده وأنشأ بها مدرسة قبل وفاته بثلاث سنوات  
وكانت فكرته الجوهرية هى التمسك بفضيلة الحكم ، تصحيح  
المسميات ، أداء الشعائر والممارسة المنتظمة للعلاقات  
الاجتماعية ومثله فى ذلك مثل سقراط ، فإن كونفوشيوس لم  
يكتب شيئاً فنحن نعرفه بفضل تلاميذه وتلاميذ تلاميذه والذين  
سجلوا تعاليمه فى كتب "المباحثات" لونيو ، "الدراسة الكبرى"  
لداكو ، "مذهب الوسط" لزوتيجونج . واعتبرت الكتب الثلاث  
قاعدة التعليم الرسمى من عام ١٣١٣م وحتى عام ١٩٠٥م .  
والتربية بالنسبة لكونفوشيوس دائماً تكون ملموسة وبإمكانه  
إعطاء إجابات مختلفة لنفس السؤال ، ووفقاً للشخص ، وأنه

لا يعلم إلا الأشخاص الذين لديهم القدرة على استقبال ما يقول ،  
والشى الجديد الذى أتى به كونفوشيوس واعتبر ثورة أضفت على  
الثقافة الصينية سمتها الأساسية هو إنسانيته ، فكان أول من فتح  
مدرسة فتحت أبوابها للجميع بدون تمييز وكان التعليم من قبل  
مقصوراً على النبلاء . وركز كونفوشيوس على تعليم الإنسان  
إقامة مجتمع قائم على العلاقة الإجتماعية المتناسقة دون تأملات  
ميتافيزيقية وسعى إلى استعادة السلطة الملكية لتحل محل  
الفوضى الإقطاعية والتجديد الذى أدخله هو أن الأمير يجب عليه  
أن يحكم بالفضيلة وليس بالقوة . ويرى أن البشر يكادون  
يتشابهون بالطبيعة غير أن التباين ينبت من المعرفة والممارسة  
ولذلك يعطى دوراً فى غاية الأهمية للتربية الخاصة بالأمير وكذلك  
بالشعب، ذلك لأن الأول يجب أن يكون قدوة أما الآخر ليتعلم  
قواعد العلاقات الإجتماعية، وله فى ذلك نظرية تسمى نظرية  
"صحة المسميات" زتنج مينج" ومعناها أن كل شخص يجب أن  
ينهج السلوك اللائق بمكانته وبالاسم الذى يحمله .

وتنمية المعلومات عند كونفوشيوس تعنى التدقيق فى طبيعة  
الأشياء ، ويدعو الجميع لاعتناق مذهب تثقيف الذات ، وبزغت  
فكرة ( الإنسان سيد ومالك الطبيعة ) فى الكونفوشيوسية ) والتى  
ترجمت بعد حوالى ألفى عام فى أوروبا فى العلوم والصناعة .

وتلعب الشعائر فى الكونفوشيوسية نفس الدور عند  
المشرعين فهى أداة للحكم تستند إلى الأسماء المناسبة للحقائق

التي تشير إليها ، والمسيمات لاتستخدم فقط فى تنظيم السلوك ولكن أيضاً للترتيب والتميز وإعمال العقل ، ولذا فإن رمزية اللغة هى أيضاً نوع من المنطق .

### المذهب التاوى :

يعتبر المذهب التاوى معارض لمذهب كونفوشيوس ، فيدين لذوى العلم لأنه لا يقدم أى حقيقة مطلقة ، كما أن كل تأكيد يولد الفكرة المعاكسة ، وهذا يسبب صراعات .

والحكيم يعرف بحدته الروحى وليس عن طريق الكتب ، كما يعتقد أتباع كونفوشيوس ، ويحمل زوانج زى ( ٣٩٩ - ٢٩٥ ق.م) الجانب الروحى للمذهب التاوى ، فهو يرى أن الحياة والموت ليسا إلا مظهرين لحقيقة واحدة وأن الاشياء ليست نسبية فقط ، ولكنها متماثلة لأن التعارض يفرض نفسه ويتواجد مع بعضه البعض ، فمثلا الرجل الراقد فى الطين سيصاب بمرض قاتل فى كليتيه ، وهذا لا يحدث لثعبان البحر .

وأفضل التربية فى هذا المذهب هى القائمة على التعلم الذاتى متمشياً مع قوانين الطبيعة ، وقد ترك أتباع التاوية أثراً جساماً على تكوين العقلية الصينية ومواقفها من الحياة ، الإلهام الجمالى والأدبى ، تقنيات إطالة العمر ، الألعاب الرياضية ، النظام الغذائى ، والجنس ، وأساليب التكتيك الحربى .

### مذهب موزى :

موزى هو مؤسس المدرسة التى تحمل هذا الاسم ( ٤٧٩ - ٣٨١ ق.م ) وأتباع هذه المدرسة يتعارضون مع التاوية والكونفوشيوسية فى آن واحد ، ويدعون إلى الحب العالمى الذى يستطيع وحده أن يولد التناسق العام وتعد وجهة نظرهم نفعية حيث يريدون ببساطة إرضاء الاحتياجات الضرورية للشعب ، ويدعون إلى وجوب الخضوع للدولة لأنها تمثل إرادة السماء ، وتدفع فكرة المال العام موزى إلى الدعوة إلى الحق المطلق ، وبهذا يعلن وقبل ألفى عام عن ظهور المذهبين المعاصرين لفكرة الدولة الشمولية والطاعة العمياء لحزب معصوم من الخطأ .

ونادوا بقانون موحد للجميع نبلاء وعبيد ، وهو مفهوم ثورى ، وفيه يعلم كل فرد ما يجب فعله وما يجب الامتناع عنه . أما الذين لا يمثلون للقانون فيقع عليهم العقاب بغض النظر عن أية أخلاقيات .

فالحاكم لا يدير شئون دولته بالأخلاق والقدرة كما كان الحال عند كونفوشيوس ولكن بالقانون والسلطة ، ويكفى أن يكافئ أو يعاقب مرؤوسيه فى ضوء أدائهم لواجباتهم ، والمشرعون يأخذون البشر على ما هم عليه من خير ومن شر ، وأن نجاح سياستهم مرهونة بالفاعلية الشخصية للحاكم .

وهذه المدرسة وأفكارها ساعدت مملكة كين على غزو الدول الأخرى وتوحيد الصين ، وقامت الإمبراطورية على أشلاء

الإقطاع لمدة استمرت أكثر من ألفى عام من ٢٢١ ق.م وحتى ١٩١١ م . وقام كين شى هوا نجدى بتوحيد حروف الكتابة والقوانين والعملية وقياس الأوزان والأطوال ، بل حاول توحيد الفكر عندما حرم كل الكتب ماعدا كتب الطب والتنجيم والزراعة.

### الكونفوشية كإيدولوجية رسمية :

خلف آل هان حكم آل كين ( ٢٠٦ ق.م - ٢٢٠ بعد الميلاد) ونبذوا المذهب التشريعى - من حيث الشكل - الذى يملكه الشعب وتبنوا مذهب كونفوشيوس كأيدولوجية رسمية ، وأرسى ذلك القواعد الأساسية للفكر والتعليم لأكثر من ألف عام؛ لأن فلسفتها السياسة والاجتماعية تناسب تماماً رغبة الأسرة الحاكمة الجديدة ، وكان آل هان بحاجة إلى تشريع لأنهم كانوا من الشعب وليسوا من النبلاء .

ولعبت طبقة المتعلمين دوراً حيوياً فى الحكم حيث إن الملك يتولى ولكنه لايتدخل فى شئون الحكم فالوزراء والعاملون يجب أن يعملوا بدلاً منه ويجب أن يكونوا من طبقة المتعلمين حيث يحل معيار الجدارة محل الميلاد ، والمتعلمون من أتباع كونفوشيوس صوتاً للشعب ، وفى المقابل يطلب منهم أن يكونوا ذوى فضيلة غير وصوليين ومخلصين تماماً للصالح العام .

### مدخل وإزدهار البوذية :

وصلت البوذية إلى الصين منذ القرن الأول الميلادى

واختلطت بالتاوية ، ولكنها لم تنمو نموًا حقيقيًا إلا مع مطلع القرن الرابع بسبب عصر الاضطرابات وانتشار الترجمات ، وقد دخلت إلى اليابان عن طريق الصين . وتنص على أن كل البشر يحملون في أنفسهم طبيعة بوذا ويمكن إنقاذهم ، وأن العالم أجمع يقوم على السببية المشتركة . وفي أحد مدارس البوذية (لنجي) يجب على التلميذ أن يكتشف الحقيقة بنفسه ويعطيها الوقت اللازم وتتبنى حكمة "التعليم الذي يعطيه آخر ليس معرفتي الشخصية ، وبفضل خبرتي الداخلية أستطيع إدراك "الأمر الواقع".

وأصبحت البوذية هي المذهب السائد من القرن الرابع إلى القرن العاشر ، ورغم تعدد المدارس فجميعها تتميز بالتسامح المشترك ولذا مال الشعب أكثر إلى الإيمان ببوذا أميتاب الذي يستقبل كل من يدعوه وذكر اسم أميتابا.

ويرجع فضل نمو الطباعة إلى البوذية لأن إنتاج وتوزيع آل سوترا والدراني (أعمال السحر) كانت تعتبر من الحسنات . وبعد توحيد الصين بواسطة آل سو (٥٨٩ - ٦١٨ م) ، آل نانج (٦١٨ - ٩٠٧ م) وظهور مشاكل الإدارة والتعليم ، فإن طبقة المتعلمين (الموظفين) أخذوا ينقدون البوذية متهمين إياها بأنها معادية للمجتمع لأنها تهدد الأسرة (بسبب عدم زواج الرهبان) والبيروقراطية.

### النيوكونفوشية

كل طبقة حاكمة تؤكد أيديولوجيتها تجاه الطبقات الأخرى

والمذاهب المنافسة ومن ثم فإن بيروقراطية المتعلمين التي تصل إلى السلطة بدلا من الارستقراطية تحت حكم آل سونج (٩٦٠ - ١٢٧٩م) استفادت من فترة تميزت بالانتعاش الإقتصادي فأخذت تعد منظورها للعالم باستعادة صلتها بالكونفوشية القديمة ومعيدة تفسيرها لها، وذلك بهدف تأكيد السلطة البيروقراطية في مقابل السلطة الإمبراطورية وهي تطالب بحق التحدث باسم الشعب، وبالتالي فالعودة إلى نفوذ منشوس ليس بالصدفة حيث إنه يؤمن أن الشعب في دولة ما يعد أكثر أهمية من الحاكم .

وأدخل وانج يانج منج (١٤٧٩ - ١٥٢٩م) على الكونفوشية رؤية جديدة تتمثل في التوافق بين المعرفة والحركة ، واعتبر أن المعرفة هي بداية الحركة أما الحركة فهي تنويج للمعرفة . فمثلاً نحن لا نعرف أى مادة غذائية على حقيقتها إلا بعد تذوقها . ونظراً للإصلاحات التي أدخلها يانج على الكونفوشية لم يرض عنه المحافظون ولذا تم استبعاده إلا أنه جذب مئات التلاميذ وهو في عزله وانتقل مذهبه إلى اليابان وأثر على القائمين بحركة إعادة بناء آل مينجى .

ودعى جويانو (١٦١٩ - ١٦٨٢) وهو خليفة حركة النهضة الذهنية التي ظهرت في أواخر عهد آل منج إلى أن العلم الحق يجب أن يقوم على البحث الملموس ويوجه لحل المشاكل الحقيقية ويدعو إلى إعادة الأصالة إلى مذهب كونفوشوس، ودعى لإصلاح نظام الاختبارات بتقييم المعارف المفيدة



للمجتمع، كما دعا لين يوان (١٦٣٥ - ١٧٠٤م) إلى التعلم بالخبرة وحل المشاكل العملية وكان هو نفسه يمارس الطب والزراعة ويدرس لتلاميذه فن العسكرية والرياضيات والفلك والميكانيكا والغناء والرقص وكانت مدرسته مزودة بأدوات علمية، ومرصد وآلات حربية للتمرين .

ويعتبر دوى زن (١٧٢٣ - ١٧٧٧) في القرن الثامن عشر عالماً رياضيات وفلك وفقه لغة وفلسفة ، ويرى أن المشاعر الكبرى مثل الإنسانية والعدالة تشق من الغرائز الأساسية والفضيلة ليست إلغاء الرغبات كما هو الحال في البوذية ولكن بإعطاء الرغبات الفرصة في التعبير عن نفسها والتحقيق بصورة متناسقة .

#### سمات طبقة الموظفين العليا :

طريقة تعيين الموظفين في النظام الصيني تميزه عن باقي النظم بالفعل ، وهي منبثقة عن أيديولوجية مذهب كونفوشيوس التي سمى " مذهب المتعلمين " روجان - وقد ولد من طبقة الكتبة ، وقد تمكن الجميع من الحصول على التربية والمراكز العليا في مجتمع طبقى بفضل نظام الاختبارات ، ولكن لم يمتد هذا الحق أبداً إلى النساء اللاتي لم يكن لهن الحق في الوظيفة العامة .

وقد وجه نقد لهذا النظام لإسهامه في البقاء على الإقطاع وبالتأكيد أن مذهب كونفوشيوس كان يقوم بتكوين الرجال في إطار احترام السلطة الاجتماعية والخضوع للأخلاقيات وكل هذا يساعد على الإحتفاظ بالنظام . كما يهتم هذا النظام بأنه وجه

الاهتمام بالظروف الاقتصادية المبنية على الزراعة ، أما التعليم التقنى لم ينم إلا فى القرن العشرين مع ازدهار الميكنة والصناعة .  
**التحول الديمقراطي للتعليم والتحرك الاجتماعى :**

أخذ النظام يتقدم ويتسع تحت حكم آل سونج (٩٦٠-١٢٧٩) بعد فترة من التمزق ، وزاد الاهتمام بالتعليم فى جميع أرجاء البلاد وازدهرت الأكاديميات الخاصة ، والطباعة والرخاء العام ، وتقدمت الزراعة مع نوعيات جديدة من الأرز ، وتقدمت التجارة الوطنية والعالمية وتزايدت دورة المال والأوراق المالية والسندات وبناء السفن لأعلى البحار ، وجميعها تغيرات تؤدى إلى صعود طبقات التجار والمتعلمين وتفرض وجود بيروقراطية فى تزايد مستمر لإدارة الدولة ومراقبة الإقتصاد .

وكانت الصفة البارزة هى إعطاء التعليم صبغة الديمقراطية ، فرغم وجود المدارس المحلية منذ عهد آل هان إلا أن آل سونج أعطاهم الدفعة النهائية فى بداية القرن الحادى عشر ، وعندما يصل سن الطفل إلى الخامسة عشر يجتاز إختبار فإذا اجتازه فإن الدولة تتولى الانفاق عليه من مسكن وتغذية ويصبح من حقه ولمدة ثلاث سنوات الاشتراك فى المسابقات الإقليمية ، وفى بداية القرن الثانى عشر يوجد ٢٠٠,٠٠٠ تلميذ أى بنسبة تلميذ لكل ٢٣٠ شخص ، وهذه النسبة لم تصل إليها إنجلترا إلا فى القرن السادس عشر ، ومنذ بداية عام ١١٠٣م قام المفتشون بمراقبة هذه المدارس لحسن سيرها وتقييم المعلمين والتلاميذ .

وقد أتاح هذا النظام تحرك إجتماعى كبير حتى مع وجود الفساد والاختلاسات ، وقد أصدر منشئ أسرة آل منج "هو نجو" منذ ١٣٩٩ أمراً بإنشاء مدرسة عامة فى كل إقليم وولاية وعلى مدى عشرون عاماً أصبح عددها ١٢٠٠ ، وعاد العمل بنظام المسابقات عام ١٣٧٠ ، وهو عبارة عن ثلاث سلاسل من الاختبارات تتخللها استراحات تدوم عدة أيام .

وحاول آل كنج ( ١٦٤٤ - ١٩١١ ) عند احتلالهم للصين أن يستميلوا طبقة المتعلمين الثقافية وأعلنوا أنهم حماة التقاليد الثقافية وأعيد افتتاح الجامعة وعادت المسابقات الاقليمية منذ عام ١٦٤٥م وقد استمر آل منج على هذا المنوال بدون تغييرات فيما عدا أن طبقة النبلاء المنشورية كانت مع طبقة النبلاء الصينية .

#### السموراي والطريق اليابانى :

إن اليابان بهويتها القوية وتماسكها الوطنى مدينة فى المقام الأول للجزر التى تكون أرضها . وإذا كانت هذه الطبيعة لم تمنعها من استقبال التأثيرات الحضارية للقارة فإنها أسهمت فى تنقيتها وتأهيلها للمناخ ، وحفظتها من الغزوات حتى عام ١٩٤٥ وسمحت لها أن تنغلق فى وجه العالم الخارجى مائتين وخمسين عاماً ، وهو شئ لم يكن بوسع كوريا أو فيتنام القيام به . وخلال هذه الفترة استطاعت اليابان أن تخلق لنفسها بعض السمات ستساعدها فيما بعد على الانفتاح والنمو . والتجزئة الطبيعية والاقتصادية قد تم السيطرة عليها تدريجياً بواسطة أسرة واحدة فى

الحكم ، وتطويع البوذية والكنفوشية للمناخ العام وانضمام الشتو الوطنى .

### تكوين الثقافة اليابانية :

بدأت الثقافة اليابانية فى التكوين فى القرن السادس ، حيث استطاع الياماتو أن يوحد تحت سلطته جزء كبير من شبه الجزيرة ، كانت الكتابة وصلت من القارة عن طريق كوريا ، كذلك مذهب كونفوشيوس والطب والتنجيم والبوذية .

### المثال الصينى والبيئة اليابانية :

تبنت اليابان فى القرن السادس المثال الصينى فى الحكم من أجل تعزيز سلطتها تجاه الأحزاب الإقطاعية ومن جهة أخرى زيادة تأثيرها تجاه الصين وكوريا حيث كانت أكثر حضارة .

وكان شوتوكا ( ٥٧٤ - ٦٢٢ ) هو صانع التطور ، والإجراءات المبدئية التى اتخذها إنشاء سلم للموظفين وربط العمل بالنتيجة وبناء الطرق ، وفى عام ٦٠٤ م صدر الدستور ، وأرسلت اليابان بعثات تعليمية للصين من عام ٦٠٧ .

وتم انشاء المدارس وكلية إمبراطورية فى نارا ومنشآت مشابهة فى الأقاليم . والتعليم فى اليابان كان موجهًا للطبقة الحاكمة أكثر منه فى الصين ، فكان لا يخدم الحراك الاجتماعى . وتربية الشعب تتم فى وسط الأسرة وتتوارث الحرف وتختص النساء بتربية دودة القز والنسيج .

## التأثير البوذي :

عندما وصلت البوذية اليابان كانت جزءاً لا يتجزأ من حضارة الصين ، وكان لشوتوكو الفضل في عرض أفكارها الفلسفية والأخلاقية ، واعتبرت دين رسمي للدولة في دستورها عام ٦٠٤ م. ويعتبر نقل العاصمة من مدينة "نارا" إلى "كيوتو" (٧٩٤ - ١٨٦٩) مرحلة في التاريخ الإجتماعي الثقافي الياباني ، وازدهرت الدراسات الكونفوشية والبوذية كذلك .

وأول المؤلفات القيمة التي كتبت باللغة اليابانية كانت لسيدات وليس لرجال في مجالات : الشعر والرواية واليوميات الخاصة ، وذلك لأن الرجال كانوا متشبعين باللغة الصينية (واكا) ويحتقرون اللغة الوطنية (كانا) بسبب أهميتهما في الصعود الإجتماعي .

وكانت تقرأ القصص المستوحاة من البوذية أمام الجمهور الشعبي لإعطائه الدروس وأهم المواضيع كانت عن قدرات بوذا الإعجازية والرهبان المشهورين وكل ذلك يعتبر جزءاً لا يتجزأ من الثقافة الشعبية في اليابان وفي البلاد الأخرى .

## محاربون وبوذية الزمن ( زمن الساموراي ) :

مند أواخر القرن السابع وحتى إصلاح "ميجي" (١٨٦٧) عاشت اليابان تحت نظام يمكن أن نصفه بالاقطاع بمعنى أن السلطة كانت في أيدي طبقة من المحاربين يمتلكون قطاعات

يعمل عليها فلاحون في نظير حمايتهم .

وكان النظام المسمى (باكوفو) قد أقيم بواسطة منياموتو -  
نيويور ميتومو - ويطلقون عليه اسم "شوجون" وهو لقب يحمله  
خلفاؤه في كوماكورا ، وقد شيد الإدارة الإقليمية التي عهد بها إلى  
أمراء الإقطاع التابعين له ، حكام عسكريون ووكلاء على الأراضي  
يخضعون له مباشرة ، وأثناء الاضطرابات التي وقعت في القرنين  
الرابع عشر والخامس عشر تلاشى النفوذ المركزي واستغل  
الحكام (المحافظون) شيئا فشيئا وأخذوا يجمعون لأنفسهم قوات  
خاصة من بين طبقة النبلاء الصغيرة حيث عهدوا إليهم بإقطاعات  
وفلاحين وهكذا أصبحوا " ساموراي " هؤلاء هم آل دينيو .

### الزن والبودو علم الجمال :

مارس الرهبان تأثيراً عظيماً على الثقافة والتربية لأنهم  
استفادوا من وضعهم الاستراتيجي كمستشارين للسلطة في  
المجال الدبلوماسي والتجاري مع الصين بفضل معلوماتهم وكانوا  
يديرون كلية اشكاجا العظمى وهي البؤرة الأساسية للدراسات  
الكلاسيكية الصينية والتي وصل تعداد التلاميذ بها في عام ١٥٥٠  
ثلاثة آلاف تلميذ.

وكانت مدارسهم (تسكوييا) تعد المنشآت التربوية الأساسية  
للساموراي وللشعب، وتضاعف عددها خلال القرنين الخامس  
عشر والسادس عشر .

والزن لا يخاطب العقل ولا دراسة الكتب المقدسة بقدر ما يهتم بالمجهود الفردى للتفكير فى طبيعته الخاصة والوصول إلى الهدوء ، وجدير بالذكر أن السيطرة على النفس تعد من صفات المقاتل مثل الشجاعة وازدراء الموت ، وهناك خمسة مظاهر بوذية الزن : هدوء العواطف ، الانصياع الهادئ أمام المحتوم ، السيطرة على النفس أمام أى حدث ، التعود على فكرة الموت ، الفقر النظيف ، وهناك ثلاث مراحل ضرورية للبودو وللزن : فترة من التمرين بالإرادة والجهد الواعى يتبعها زمن التركيز بدون وعى ثم بعد ذلك زمن الحرية حيث يتعد الذهن عن تعلقه بأى شئ .

وفى القرن السادس عشر ظهرت المفاهيم الجمالية الجديدة مع حفلات الشاي والفنون التى ألهمتها : الحدائق ، فن العمارة ، التصوير ، تنسيق الزهور ، وكل ذلك نشأ فى معابد الزن وتحمل بصماته : التجربة ، التناسق ، حاسة التعبير ، الفراغ والسكون خلافاً للرفاهية الواضحة السائدة عند النبلاء .

وقد انتشر الشاي عن طريق ايساي فى القرن الثانى عشر كحفز للتأمل وقد قنن سن نوريكيو (١٥٩١ - ١٦١٨) قواعد الاحتفال به .

كما أن فن تلوين الرسم الذى أخذ عن آل سونج ، يعطى أهمية كبيرة للفراغ فى المناظر الطبيعية وهو ليس بفراغ (المساحة الغير مرسومة) لأنه يحتوى على كل شئ : الجبال ، المياه ، الكبائن تحت الأحجار والرجل الذى يسعى أو الذى يتأمل،

فالفراغ يعطى معنى للظواهر .

وبفضل أل " كانا " استطاع الخط اليابانى أن يخلق أسلوباً خاصاً به لا يقل جمالاً عن الخط الصينى والشعور الجمالى لم يكن حكراً على الصفوة ، فنجد الفلاحين البسطاء ينظمون الشعر والجموع تذهب فى الربيع لمشاهدة ازدهار شجر الكرز وشرب الساكى وفى الخريف لتأمل الأشعة الذهبية لأشجار السندان .

وطرأت طفرة على النشر فى الثلاثة مراكز الكبرى " كيوتو ، أوساكا ، وايدو " فشهدت إنتشاراً ثقافياً ليس فقط فى المدن ولكن أيضاً فى الريف عند التجار فى القرى والفلاحين الأغنياء .

وكما حدث فى الصين قاموا باستعمال الطباعة على لوحات بارزة ، وكان السحب يتعدى فى المتوسط ألف نسخة ، وفى نهاية القرن السابع عشر كانت نصف الكتب تتناول البوذية و ٥٠٪ تتناول الكونفوشية والباقي موزع على الأدب الكلاسيكى والشعر والنثر والروايات والمسرحيات والكتب التعليمية .

#### التعليم والطبقات الاجتماعية :

فى القرن التاسع عشر ، وفى العديد من المجتمعات كانت مسألة التعليم تبدأ منذ لحظة الميلاد ، لقد فرض مذهب كونفوشيوس السائد فى الصين واليابان التسلسل الاجتماعى المعروف باسم شى جونج زنج أو شى نوكو شو ، والنظام المدرسى يعمل على غرس فكرة العمل ومسئوليات الفرد تجاه



المجتمع مما يعطى الرغبة فى التحسن والتدرج فى السلم الاجتماعى وبذل المزيد من الطاقة كما أن التأهيل للغة مشتركة كذلك ، والتاريخ والجغرافيا يسهم فى نهاية الأمر على تنمية الوعى القومى ، إن هذه الاحتمالات والافتراضات العامة مقبولة ، ولكن يصعب التيقن منها ، كما أن وجود عامل الربط بين تعلم القراءة والكتابة والنمو الاقتصادى لايبنى بالضرورة أن القراءة والكتابة هى التى أوجدت النمو الاقتصادى إذ العكس قد يكون أيضاً السبب فى ذلك ، فمسألة القراءة والكتابة (محو الأمية) قد تكون قليلة الأهمية إذا لم تقترن بعوامل أخرى مثل ارتفاع معدل الادخار والاستثمار ، وضخامة المشاريع والتكنولوجيا، وسياسة الحكومة . ومن جهة أخرى فإن ما يصلح لبلد ما فى وقت قد لا يصلح لبلد آخر وفى عصر آخر .

### التعليم فى الصين :

#### - أهمية التعليم :

فى القرن الثامن عشر بينما كان مستوى التعليم المرتفع فى اليابان يقابل انتشار الأمية فى الصين ، ومع أن اللغة الصينية ليست لغة أبجدية تتكون من رموز ذات عدد محدود ولكل رمز معنى ، ولكن شهد القرن التاسع عشر انتشار التعليم بها ، ومما ساعد على ذلك أن التشكيل السياسى والاقتصادى كان يتطلب مستوى معين من الثقافة لنيل الوظيفة ، كما يتعين على التجار إمساك الدفاتر ، وتحرير العقود المكتوبة فى الشراء أو رهن العقارات وتأجير

الاراضى وتشغيل العمال واقتراض الأموال .

وكانت تعليمات الحكومة معلقة داخل المدن كما كان السكان يلصقون على الحوائط شكاوهم من العاملين ، وتوجد لائحة مكتوبة لحماية الجمهور فى بعض المجالات مثل نسبة الفوائد ، والأجور ، ورواتب الحمالين ..... الخ كما توجد دوريات يتم نشرها ليس للمثقفين فقط ، بل يطلع عليها أيضا الموظفون والتجار وأرباب الحرف.

وكانت النقابات تنشر لوائحها بداخل المحلات ، وتطبع وتصدر أخبار السوق لأعضائها كما كانت الشوارع ممتلئة بالإعلانات والملصقات عن الطب والتنجيم والمطاعم والعروض المسرحية. وكانت توجد مكاتب متنقلة تعير كتبها لأولئك الذين لا يستطيعون الشراء وهى كتب تدور أساسا حول الروايات الشعبية.

وتتطلب الحياة فى الريف الإلمام بالقراءة والكتابة بالنسبة لشريحة من السكان وتتطلب الأمن العام وجود رؤساء للعائلات (كبير العائلة) يتولون عملية تسجيل الأشخاص المقيمين وفيما يتعلق بالضرائب يتم تعيين شخص مسئول عن كل عشرة عائلات، فهو يتسلم ويسلم للإدارة حسابات كل فرد من تلك العائلات ، وتقوم طائفة " السونج " بنشر الإعلانات على حوائط المحاكم وهى إعلانات خاصة بنشر أحدث أساليب التكنولوجيا فى مجال الزراعة.

وإذا كانت مسألة الكتابة تبدو أكثر انتشاراً في الريف الصيني عن أوروبا في نفس العصر ذلك لأن الريف في الصين لا يتكون فقط من المزارعين ، بل من العديد من الأشخاص الذين يمارسون مهام أخرى مثل الصناعة والتجارة.

وبلغت أعداد المدارس حوالى ١٨١٠ مدرسة حتى عام ١٨٦٦ ، جميع هذه المدارس لم يعين بها مدرسون من قبل الدولة ويتم تمويلها من حصيلة الهبات الخاصة بالأراضي المنزرعة .

ويبدأ تعليم الطفل منذ بلوغه عامه الثانى أو الثالث على الأكثر، فالطفل يتدرب أولاً على كتابة الرموز ، ويبدأ بنقل نماذج من الرموز على ورق مقسم إلى أربعة أجزاء للحفاظ على ضبط المسافات ، وفى عصر " الناتج " تم استخدام لوحات خشبية محفورة عليها رموز تمكن الطفل من تجميعها فى مجموعات مختلفة .

ودراسة النصوص يتبعها دراسة الخطوط وكتابة مختلف المقالات للمسابقات ولعلم الحساب والهندسة نصيب وافر أيضاً فهناك جداول الضرب وكيفية استخراج الجذر التربيعى .

ويتعلم الطفل الذى ينحدر من أسرة مثقفة العادات الحسنة التى تميزه عن العامة ، خاصة فيما يتعلق بالحركات وطريقة الكلام ، كما يتعلم أطفال التجار كيفية استخدام الحاسب ومسك الدفاتر، ولم يلق التعليم البدنى أية أهمية على الإطلاق .

وكان " جحيم الامتحانات " يبدأ مع " جحيم الأعداد " فالآباء والمدرسون يرددون قولهم بأن الدراسة مفتاح النجاح فى الحياة، وإن كل شئ موجود فى الكتب ، والأرض والذهب كذلك فى الكتب .

والأطفال الفقراء كانوا يتلقون تعليمهم فى مدارس البلدية ومدارس الأقارب بالمصاهرة حيث التعليم بالمجان .

ويرجع تاريخ المدارس البلدية (شيكو) أو المدارس الخيرية (يكسو) إلى عصر (المينج) الذين شجعوا المدن والقرى على بناء تلك المدارس لتعليم الشعب، وفتحت تلك المدارس أبوابها للتلاميذ منذ سن ست سنوات ، وثلاثة عشر عاماً ، واتخذت هذه المدارس من المعابد والأبنية العامة المهجورة مقراً لها ، وكان المدرس فى أغلب الأحيان يحمل درجة "شنجوان" العلمية ، ويدفع الآباء مصروفات عينية (غذاء ، وقود ، ... الخ) ، ويمدون المدارس بالأثاث اللازم من كراسى وطاولات ... وتبدأ الأجازات أيام الحصاد لكى يتمكن الطلاب من مساعدة آبائهم كما كان يوجد نوع آخر من المدارس أقامها الأقارب بالمصاهرة وكانت تستقبل الأطفال الفقراء الذين يقطنون بجوارهم .

كما تواجدت أيضاً أكاديميات خاصة (شويوان) والتي اعتنقت فكرة وحدة المعرفة والعمل ، وفى عهد " الكينج " وصل تطور طباعة الكتب مداه حتى أن العالم الصينى الشهير "هيجل" قال إنه فى منتصف القرن الثامن عشر طبعت الصين تقريباً من

الكتب ما يفوق ما طبعه العالم من كتب ، ويرجع هذا الأمر إلى انخفاض تكلفة الطباعة.

ومما يذكر أن سى بى شينج ( وليس جوتينبرج) قد اخترع تقنية الحروف أو الرموز المتحركة فى الفترة من ١٠٤٢ حتى ١٠٤٨ ولكنها لم تنتشر لكثرة عدد الرموز واستمر العمل فى استخدام الرموز المحفورة بالبارز على اللوائح الخشبية لكونها بسيطة واقتصادية ، حيث إن الحفر على الخشب أيسر ويمكن استخدام اللوح الواحد ثلاثين ألف مرة.

وقد أسهمت المطبعة نتيجة طبع وانتشار الكتب بثمن زهيد فى إضفاء الطابع الديمقراطي على الثقافة والتعليم بصفة عامة، ويلاحظ أن الشعب لديه نوعان من الأدوات التى لاغنى عنها فى الحياة اليومية؛ كتب عن الحساب تتضمن المسائل الحسابية والحلول الخاصة بها ، وطرق تدريس جدول الضرب نفس جدول الضرب المستخدم فى أوروبا ، بالإضافة للقواميس التى ظهرت إبان القرن العاشر.

ويرى رواكس أنه فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر، تعلم القراءة والكتابة من ٣٠ إلى ٤٥٪ من الرجال ومن ٢ إلى ٤٪ من النساء .

#### التعليم غير الرسمى :

يبدأ التعليم من قبل العائلة وذلك قبل بداية التعليم الأساسى

فى المدرسة ، فالعائلة هى الوحدة الإجتماعية الأساسية وهى صورة مصغرة للنظام السياسى ، حيث يقول كونفوشيوس ، إذا نجح المرء فى تثقيف نفسه بنفسه وإدارة بيته ، فهو قادر على إدارة الدولة ، وإن بر الوالدين هو جوهر العلاقات ذات التسلسل فى الذرية .

كما أن الجمعيات التعاونية المكونة من المزارعين والمثقفين والأقرباء بالمصاهرة ترى أن من واجبها العمل على انتشار العادات الحسنة وتثقيف الشعب، وتجنب الرذائل ، وإنشاء المؤسسات والمدارس الخيرية لمساعدة الفقراء من أبناء الشعب. وخارج نطاق العائلة فإن عدداً كبيراً من الإعلاميين قد تسابقوا فى نشر التعليم غير الرسمى، عن طريق تمجيد أمهات الكتب، كما أشاع المثقفون المبادئ الأخلاقية ، كما أقيمت المآدب للفائزين فى المسابقات بما فى ذلك مسابقات الفن والأدب.

وقد استخدم الرسم لتمثيل الرجال ذى الشأن العظيم الذين يحتذى بهم ، ومشاهد جهنم لدى "بوذا" والتى رسمها "ووداوzy" تبدو حية للغاية لدرجة أنها بثت الرعب فى قلوب الجزائريين فى مدينة شانجان وبحثوا عن مهنة أخرى . وكانت عروض المسرح تقيم عروضاً تشيد ببر الوالدين والإخلاص والفضيلة والإحسان ، والأقاصيص والروايات والأوبرا الغنائية باللغة العامية والأسلوب المبسط قد دعت كل فرد لمعيشة

التراث الثقافى لوطنه ، حيث لم يوجد أمة واحد يجهل الأبطال الكبار فى تاريخه بل ويتغنى بشئ من تراثه .

### التعليم فى اليابان :

تفرع النظام الاجتماعى فى اليابان حيث كان أكثر تعقيداً عنه فى الصين ، فالتعليم كان مختلفاً تماماً حيث أصبح وسيلة للوجود فى حد ذاته ، فانتشرت المدارس فى كل مكان خاصة فى القرن التاسع عشر، وفى عصر "الميجى" (١٨٦٨م) كان يوجد عدد ١٠٢٠٢ مدرسة ابتدائية (تيراكويا) و ١٨ مدرسة ثانوية (جوكو) ، ١٠٧٦ أكاديمية خاصة (شييجوكو) و ٢٥٥ مدرسة بالمقاطعات لمختلف المستويات، وكانت جامعة شوجونال قلعة مذهب الكونفوشوسية ، وارتفع معدل التعليم فى ذاك العصر لدى الرجال من ٤٠ الى ٥٠٪ ولدى النساء من ١٠ الى ١٥٪ مما كان له أكبر الأثر على تحديث اليابان .

### تعليم الساموراي :

كانت طبقة الساموراي هى الطبقة المهيمنة على مقاليد الأمور، والهدف الأسمى من التعليم هو الاستعداد للحكم ، ويتعلم الطفل فى الساموراي كتابة اللغة اليابانية وقراءة اللغة الصينية على الطريقة اليابانية بتغيير ترتيب الكلمات وإضافة بعض الأجزاء ، فهو يبدأ فى تكوين جمل مشكلة من أربع أو خمس كلمات .

وكان التعليم فى تلك المدارس يختلف باختلاف الطبقة الاجتماعية ، كما أن الطبقات المختلفة للساموراي لم تحتفظ ببعضها البعض وتدار المدرسة من قبل أحد رجال الساموراي الذين ينتمون للطبقة العليا للدلالة على أهمية تلك المدرسة . ويحصل الطلاب المتفوقون على المكافآت والمنح مما جعلهم يتنافسون .

### تعليم عامة الشعب :

أنشئت بعض المدارس الخاصة فى الأقاليم لأطفال العامة من الشعب ، وأكتفت معظم المدارس بالتعليم الابتدائى والأخلاقى (المعنوى) . وأعطى المعلمون الدروس فى المؤتمرات الجواله فى نفس الوقت . وكانت المدارس ، تضم فى المتوسط ثلاثين طالباً ، وتعدت بعض المدارس هذا الرقم إلى مائة طالب ، وكان الطلبة والطالبات يقسمون إلى مجموعات منفصلة وكانت العلاقة التربوية والمعنوية بين المعلم والطالب تقوم على الاعتبار المالية، وفى الريف كان الآباء يقدمون للمعلم هدايا لدى قبول الطالب وفى مناسبات عديدة مثل الأعياد والامتحانات ، وفى المدينة يحصل المعلمون على النقود أساساً بل وعلى الهدايا أيضاً .

ويتعلم الطفل عندما يبلغ من العمر ٦ إلى ٨ سنوات كتابة الحروف ، والأرقام ، والأشعار بطريقة كانتا ، كذلك كتابة أسماء الأشخاص والأماكن ، حيث يكتبونها فى بعض الأحيان على الطريقة اليابانية التى وردت فى كتاب الألف رمز .

وفى الريف تغلق المدرسة أبوابها أيام العمل المضمنى فى



الحقول ، فلا تعمل المدرسة بنظام الفترات ، اذ يعمل الطالب من ثلاث إلى أربع ساعات فى اليوم ، وبخلاف تدريس الخط والقراءة والحساب كان يدرس الأخلاق ، اللغة الصينية ، التاريخ والجغرافيا ، ثم العلوم الغربية فيما بعد بما فى ذلك اللغة الانجليزية ، وكانت الكتب الصغيرة تراعى احتياج الطفل وفقاً لمهنة والديه : الزراعة فى الريف ، التجارة فى المدن .

وفى القرن التاسع عشر اهتمت الحكومة العسكرية (الباكوفو) بالمؤسسات التعليمية (التاكويا) وتدخلت فى النصوص التى يجب تدريسها بهدف نشر ايدولوجية الباكوفو .

وكانت تجرى الامتحانات مرة واحدة كل شهر ، ثم امتحان فى نهاية العام ، وهى عبارة عن كتابة مذكرة بخصوص أمهات الكتب أو النصوص القديمة ، والمذكرات التى تكتب بخط جميل تعلق على الحوائط كنوع من الافتخار والمديح للمعلم ولأولياء الأمور ، كما تنظم المدرسة رحلات فى مناسبات متعددة .

وكانت المهارات والمعلومات الحياتية تكتسب فى المنزل ، وفى الحقول والورش والمحلات وتنوعت مناهج التعليم بصورة كبيرة ، فنضمت الدراسات الصيفية القديمة واليابانية والمذاهب الخارجة على المذهب الارثوذكسى والعلوم الغربية من لغات وطب وعلوم تقنية العسكرية ، وتطورت حركة التعليم فى التاسع عشر أمام التهديد من الغرب ، ومن أجل تعزيز القوة العسكرية

### تعليم النساء :

يوجز " زهاو " وهو من مؤرخى "الهان" الفضائل النسائية الأربعة فى : -

الإخلاص ، الحرص فى الكلام ، التحفظ فى السلوك ،  
التحمل فى العمل ، كما يتعين على المرأة أن تخدم حماها  
وحمايتها وتعيش فى وئام مع أشقاء وشقيقات زوجها . وأن  
الواجب الأسمى لكل امرأة هو الطاعة عندما يأمر الزوج فعلى  
الزوجة السمع والطاعة.

وفى الصين كانت سيدتان مقابل عشر سيدات يقرأون  
ويكتبون فى القرن التاسع عشر مقابل ٣٠٪ إلى ٤٥٪ من الرجال ،  
وان التفاوت بين المدن والريف متشابه ، بينما كان الحال أفضل  
فى اليابان حيث زادت تلك النسبة .

**الجزء الرابع**  
**أوروبا**  
**من العصر اليونانى القديم**  
**إلى العصور الوسطى المسيحية**

**مقدمة :**

فى مقدمة هذا الجزء يناقش المؤلف أصول الثقافة الأوروبية،  
والتي يذهب الرأى السائد إلى اعتبارها ثلاثة أصول هى :  
- اليونان ( فيما يخص الديمقراطية والفلسفة والعلوم والفنون )  
- روما ( فيما يخص القانون وتنظيم الدولة والأمور العسكرية )  
- المسيحية ( فيما يخص المجالات الروحية والأخلاقية ).

ويرى المؤلف أن تقديم هذه الأصول بهذا الأسلوب إنما  
يخفى الفروق السائدة بينها ويؤدى إلى نسيان جذورها ، حيث  
يعتبر أن تاريخ أوروبا قد بدأ بالفعل على الضفاف الشرقية للبحر  
الأبيض المتوسط ، وربما أبعد شرقاً ، حيث اكتشف الإنسان  
الزراعة والبرونز والحديد والكتابة والمدرسة والحكمة والعلم  
والورق وفكرة الإله الواحد ، وهى العناصر التى وصلت إلى  
اليونان وروما ثم إنتقلت إلى الغرب كله ، فيتحدث عن نشأة  
الكتابة فى سومر Summer ثم فى مصر بعد ذلك بقليل وظهور  
ورق البردي فى مصر والذي ظل الدعامة الأساسية للكتابة فى

منطقة البحر المتوسط قديماً، وحتى استبدل بالورق الرفيع المصنوع من قطع القماش Chiffon وهو من أصل أسيوى ، كذلك اخترعه الصينيون ثم نقله العرب عنهم .

كذلك فإن الكتابة قد أدت إلى طريقة جديدة فى المعرفة وفى التفكير ، لتمهد الطريق للفكر العلمى ، بدأت بأشكال تبرز الحقيقة التى تصورها عند تحليلها ، وقد أشارت قوائم الاشخاص، والحيوانات والنباتات والعقاقير وكذلك الأعداد الرياضية إلى عناصر المنطق العلمى القائم على التصنيف والتجريد ، والتى ظهرت فى منطقة بين النهرين .

ويرى المؤلف أن الفكر اليونانى نشأ فى الأناضول وتغذى بالتأثيرات الأسيوية والمصرية ، بل إن اليونانيين يعترفون بفضل المصريين فى مجالى الطب والرياضيات ، ويستطرد المؤلف فى الحديث عن التأثيرات المصرية على اليونان فى مجالى الطب والرياضيات حيث تمكن الطبيب هيبوقراط Hippocratic من دخول مكتبة معبد "إيمحتب" الوزير والمهندس والطبيب الذى عاش فى مصر فى عصر الملك زوسر من الأسرة الثالثة ( حوالى سنة ٢٥٨٠ ق.م) وتبع هيبوقراط فى ذلك أطباء يونانيون آخرون ، وكانت الرياضيات المجال الثانى الذى طوره المصريون بعد سكان منطقة النهرين بفضل نظامهم الاجتماعى ، حتى أن أفلاطون فى كتابه "القوانين" طالب بأن يتعلم أطفال اليونان القليل من الحساب والهندسة وعلم الفلك على غرار أطفال مصر وقتئذ منذ بداية تعليمهم، وتعلم "فيثاغورث" من المصريين كل ما يتعلق

بالعقيدة ، وبالهندسة ، وبنظرية الأعداد ، والتناسخ بين كل ما هو  
حتى .

وتستمر المؤلف في الحديث عن دور الزراعة والدين في  
تحديد إتجاه تشييد المباني والأهرامات وفي تطور علم الفلك  
وتخطيط المدن الذي استعاره اليونانيون من منطقة بين النهرين  
والهند ومصر . ويرى أن العلوم اليونانية لم تبدأ حقيقة إلا في عهد  
أرسطو في القرن الرابع ق.م ، فتحوّلت نظريات العلماء المبنية  
على الأساطير ومجموعة من الملاحظات المتفرقة الممزوجة  
بالخرافات إلى دورس منهجية ، وارتفع مستوى الرياضيات وعلم  
الفلك إلى درجة لن نراها بعد ذلك إلا في القرن السادس عشر .  
وتضيف المؤلف بأن الفلسفة بدأت مع السوفسطائيين قبل سقراط  
وأفلاطون داخل اليونان ، وعلى المستوى العالمي يمكن اعتبار  
مواعظ بوذا هي المحددة لنشأة الفلسفة ، حيث عرضت بدقة  
نظرية السببية لأول مرة في التاريخ .

وترى المؤلف أنه إذا كان اليونانيون قد أنشأوا السياسة  
والديمقراطية ، فإن الديمقراطية اليونانية كانت تقوم على نظام  
العبودية ، وهو نظام لم يحتج عليه أحد ، بل اعتبر نظاماً طبيعياً  
وضرورياً ، حيث يقوم العبيد بالأعمال المطلوبة حتى يتفرغ  
المواطن للمسائل العامة .

وتقول المؤلف بأن روما ورثت الحضارة اليونانية ونشرتها في  
منطقة واسعة من الأطلنطى إلى الفرات ، ومن اسكتلندا إلى

الصحراء بفضل السلام الذي إستتب قروناً طويلة، ولم تستفد أوروبا وحدها بهذا الوضع ، فقد توصل أهل الصفوة فى البلاد المحيطة بالبحر الأبيض إلى هذا التعليم .

وقد منحت الوحدة الرومانية لأوروبا - كما تعتقد المؤلفة - الإطار الذى سيمكنها من أن تولد وتتطور ، ولكن روما لم تكتف بنقل هذا الإرث ، بل شكلته بإسهاماتها أولاً فى مجال المصطلحات ، أى فى الترجمة إلى اللغة اللاتينية ، وهى لغة الفلاحين والعسكريين التى لا تنتقل بسهولة إلى اللغة اليونانية تلك التجريدات الفلسفية التى لها معانى مختلفة ، ولم تؤدى نهاية الأمبراطورية الرومانية إلى موت اللغة اللاتينية التى رسختها الكتابات الأدبية وأصبحت لغة الكنيسة بالتالى ، ولمدة ما يقرب من ثلاثة قرون ستصبح لغة الثقافة ولغة الاتصال بين دول أوروبا ، أما لغة التخاطب فهى تستكمل تطورها لتعطى اللغات الرومانية مثل اللغات الإيطالية والفرنسية والأسبانية والبرتغالية والرومانية .

وتضيف روما إلى التراث اليونانى المجالات التى شغلت قوتها وأكدت هيمنتها ؛ القانون والإدارة ، وفن الحرب ، والأشغال ، والورش الكبيرة ، وإن كانت روما لم تنجب فلاسفة وشعراء كبار مثل اليونان إلا أنها ستساعد على تقدم الثقافة فى مجالى إزدهار المدارس فى كل المراحل فى الشرق والغرب ، وفى الأوساط الحضرية بإفريقيا ، وتعلم الصفوة اللغتين اليونانية واللاتينية .

وترى المؤلفة أن ينبوع الثانى الذى إشتقت منه الثقافة الغربية هو الفلسفة اليونانية وعلى الأخص فلسفة أفلاطون الذى أدمج فيها المسيحيون فكرة الخير الأسمى بنظرتهم الدينية، حتى أصبحت المسيحية تمتلك عهدين ؛ عد اليهود والفلسفة اليونانية، إذ كانت المسيحية قد استخدمت اللغة اليونانية فى أول الأمر ، أما اللغة الأدبية اللاتينية فستبقى هى لغة الاتصال والثقافة بين الدول .

### اليونان

يرى المؤلف أن التربية فى اليونان مثلها مثل أى بلد آخر، هى أداة لتوصيل قيم المجتمع للأطفال ، وترتبط الثقافة بكل ما يشكل أسلوب التفكير والإحساس والعمل كما تتوارثه الأجيال وتغيره حسب أنشطتها الخاصة .

لذلك إعتبر اليونانيون الشعراء والمشرعين ضمن المربين ، فقد نقل الشعراء القيم العظيمة التى إتصفت بها العصور القديمة ، وذلك بتعيينهم للأبطال القدوة ، ولذكورهم القوانين الخاصة بالحكمة فى التعامل اليومى ، هذا الطابع التعليمى سيجعل الشعر والمسرحيات هى الموجه للشعب ، بتوسيع مداركه السياسية والأخلاقية والدينية.

ويلعب المشرع إلى جانب الشعراء دور المربى غير الرسمى، والتربية بالنسبة لأفلاطون ليست إلا فن توجية الاطفال تجاه ما ينص عليه القانون .

وتحت عنوان " الميراث القديم " تتحدث المؤلفة عن الإلياذة والأوديسة ، فترى أنهما تحتفظان بذكرى عظمة الحضارة الأولى التي ظهرت فى هلاده Hillade وفى كريت Crite وهما تقدمان وجوهاً واضحة للتشابة بينهما وبين حضارات آسيا العربية مثل عبادة الآلهة الكبرى .

ويرى المؤلف أن اليونان كانت تستقبل من احتكاكها بالشرق تأثيرات دينية وفنية مهمة وكذلك فن الكتابة، فبرز منطقة أيونيا Ioni كأول مركز ثقافى أعطى اليونان أول فلاسفتها أمثال طاليس وهيراقليطس وغيرهما ، كذلك أول شعرائها الفنانين، ويرى أن الأمر الهام هو بداية الملاحم مع الإلياذة والأوديسة اللتين ستغذيان النظم التربوية فى أوروبا .

ويتنقل المؤلف إلى الحديث عن ملحمتى الإلياذة والأوديسة، فىرى أن هاتين الملحمتين يمثلان جمال الشعر وتنوع الشخصيات والأحداث وفن كتابة المسرحية ، حتى اعتبر "هوميروس" مربياً لليونان ، والذي سوف ينتقده أفلاطون فى كتابه الجمهورية ، كما ينتقد هؤلاء المعجبين بهوميروس الذين يأخذون من كتاباته كل التعاليم ، فأبطال الإلياذة ملوك يعيشون للحرب، ووجب عليهم أن يظهروا قيمتهم فيها حتى يستحقوا كل أمتيازاتهم، يحارب كل منهم حتى ينال شرف إقرار الناس بأنه الأفضل ، أما التربية فهى تنشأ تبعاً لذلك . ويستطرد المؤلف فى الحديث عن بعض التفاصيل فى الملحمتين يستخرج منها بعض



المعانى والمواعظ التى تشكل أخلاقيات تحكم الحرب كما تحكم الرياضة.

وترى المؤلفة فى سياق حديثه عن التغيرات الاجتماعية والقيم الجديدة أن أسطورة الإلياذة تصور مجتمعاً حربياً يسود فيه الأشراف يصدرون الأوامر ، ويتكلمون ويقررون ، وفى الأوديسة يظهر الشعب بكثرة وتعنى أن الإنسان لا يعمل إلا إذا كان يرجو الهروب من الفقر ، وأن الظلم أقوى من العدل ، ويتباكى الشاعر لأنه يعيش فى عصر الحديد وليس فى عصر الذهب والفضة والبرونز وعصر الأبطال ، وهى العصور التى سبقت عصره ، فالإنحطاط مستمر بأمر الآلهة .

وتتناول المؤلفة بعض المقاطع من الملحمة لتصور كيف أن التعبير الشخصى كثيراً ما يدخل فى الإطار التعليمى حيث يريد الكاتب تعليم الناس مبادئ أو حكمة معينة من كاتب إلى آخر ، وهى أوضاع يمكن مقارنتها بأشكال الفن المعاصر آنذاك ، حيث ألقى اليونانيون نظرة متحررة لكل مظاهر الحب ، ولو كان الطابع الملحمى قد اختفى فى هذه الفترة فما زالت القيم البطولية قائمة لكن ليس لأجل المجد الفردى ، وأن فى أوقات السلم تأخذ المنافسة الرياضية مكان أخلاقيات الحرب ذلك بالألعاب التى تقام بين البلاد .

وتنتقل المؤلفة بالحديث إلى اسبرطة المحافظة والوفية للمثل الارستقراطية ، لم تعرف الطغيان ولا الديمقراطية

وستحتفظ بصفة دائمة بنظام إجتماعى صارم - حيث لا يمتلك إلا عدداً صغيراً من المواطنين أحسن الأراضي ويتمتعون بالحقوق السياسية، أما النشاط الخاص بالإنتاج فهو متروك للرجال الأحرار ولعبيد الدولة من المزارعين والحرفيين الذين يعيشون تحت نير الفقر والإضطهاد، ولما تخلص سكان اسبرطة من الهموم الاقتصادية كون النبلاء طبقة عسكرية معدة منذ الطفولة لفن الحرب وحده .

والأطفال عندما يبلغون سن الثامنة يقوم ممثل الدولة باستكمال تربيتهم فيقسمهم إلى مجموعات يعيشون ويأكلون ويعملون معاً تحت إدارة أكثرهم غلبة فى العراك، وعندما يصلون الى الثانية عشرة عاماً يعيشون حياة خشنة وقاسية يعلمونهم فيها كل ما يريد من خشونتهم وعنفهم مع الاهتمام بالحياة المدنية.

ويتعلم الشباب الشعر والغناء بهدف وطنى ، كما يحتفل بمن ماتوا فى سبيل اسبرطة، وتمتد التربية إلى سن النضج ، حيث أن سكان اسبرطة لا يعملون كلهم فيقضون وقتهم فى تعليم الاطفال وتعليم أنفسهم إلى جانب الشيوخ ، ويمارسون الألعاب الرياضية، وعندما يصل الرجل إلى سن الستين فى مدينة اسبرطة فهو يصبح مؤهلاً للانضمام إلى مجلس الشيوخ المكون من ٢٨ فرداً تعادل سلطتهم سلطة الملوك الذين ورثوا الحكم .

ويحدثنا المؤلف بعد ذلك عن عصر مدينة أثينا ، حيث بدأ الإزدهار السياسي فيها بعد انتصارها على الفرس سنة ٤٨٠ -

٤٧٩ ق. م ، ولمدة نصف قرن تقريباً تمارس هيمنتها على جزء من اليونان بأسطولها البحري ، والديمقراطية فيها تزامنت مع الإقطاع ، فحرية الدولة تشمل حرية نشر تسلطها على الآخرين ، وبالتالي فإن ازدهار أثينا تبعته أزمة خطيرة على الفور ، وفي نفس الوقت تبعه تجديد في الأفكار يعود إلى السوفسطائيين ، ثم سقراط وتلاميذه .

وكان المثل الأعلى في التربية في القرن الخامس هو الـ Koloskagathos أى الرجل الجميل والطيب ، أما التربية فهي توصيل الطفل الى خط المفهوم السوى الذى يأمر به القانون ، والذى اتفق على صحته كل الناس الذين يمتلكون طبيعة ممتازة وخبرة واسعة بفضل تقدمهم فى العمر .

تقوم الأم بتربية ابنها حتى يصل إلى سن السابعة من خلال الأغنيات والقصص والحواديت التى تغنى وتحكى لهم قبل النوم ، وكذلك اللعب والاحتفالات التى يحضرها الطفل وتربطه بالمجتمع ومعتقداته ومفاهيم مدينته ، ثم يذهب الطفل إلى المدرسة عندما يبلغ السابعة ، ليتعلم الديمقراطية والآداب والموسيقى والرياضة البدنية ، واختلفت الطريقة باختلاف المستوى الاجتماعي والاقتصادى للأسر الأثينية .

وكان الأطفال يتلقون فى البداية تعليماً أساسياً يشمل تعلم الحروف والأعداد ثم تأتى الموسيقى ، ثم يأتى تعلم الألعاب لكى يأخذ بيد الطفل ، وهو فى الثامنة عشرة من عمره حتى يكون له

جسم سليم يساعده فى أعماله وفى الحرب ، ويستعرض المؤلف فى ذلك العديد من المضامين التربوية التى حكمت هذا النشاط التربوى ، والتى كانت مستلهمة فى الغالب من الموروث الثقافى اليونانى القديم .

وعن السوفسطائيين تتحدث المؤلفة بعد ذلك باعتبارهم محترفو المعرفة والذكاء ، فهم يظهرون فى النصف الثانى من القرن الخامس ق. م فى الوقت الذى تزدهر فيه الديمقراطية فى أثينا ، وتمنح الفلسفة للإنسان وللعقل مكانة كبيرة ، بينما تؤدى الحروب ووباء الطاعون إلى أزمة أخلاقية عميقة يظهر فيها الشك فى عدل الآلهة ، والبحث عن ملذات ، وتفقد القيم التقليدية مكانتها.

وكان السوفسطائيون معلمو البيان وفنون الرد والمناقشة والإقناع ، فأناحت لهم الديمقراطية اليونانية أن يكونوا معلمى فن السياسة ، فأقبل عليهم الأغنياء للتعلم. أما عن البلاغة ، أو فن الكلام فقد نشأ فى صقلية حوالى ٤٦٥ ق. م مرتبطاً بعدد أكبر من القضايا التى كانت تشغل الناس هناك .

إن السوفسطائيين ليسوا فقط أساتذة فى علم البيان، بل كانت لهم آثار فلسفية تشير إلى منعطف خطير فى تاريخ الفكر اليونانى متمثلاً فى الشك المنهجى الذى حل محل الإيمان بالآلهة ، ويصل مبدأ النسبية فى المعرفة والإدراك عند السوفسطائيين إلى درجة الإنكار التام لدور العقل وقدرته على المعرفة ، حيث ليس ثمة

شيء موجود إلا ما هو حسي وملموس .

وتستمر المؤلف في الحديث عن آثارهم الفكرية في تناول موضوعات المعرفة والإدراك ووجود الآلهة والأخلاق التي قامت على النفعية ، والتي هدت العديد من الأسس الفكرية والدينية لمدينة أثينا حتى ظهور سقراط .

وسقراط لم يكتب شيئاً ، ولكن تاريخ الفلسفة يتكلم عن سبقه والذين راهنوا على الطبيعة ، وذلك دون أن يتخلصوا تماماً من الآلهة ، في الوقت الذي أنزل سقراط فيه الفلسفة من السماء (البحث في الطبيعة والوجود) إلى الأرض ( البحث في الإنسان) فهو لا يهتم إلا بالإنسان ، ومع ذلك لا يمكن أن يتصف سقراط بالوضعية فهو يؤمن بخلود الروح ، وهي الفكرة التي أثرت عنده على مفهوم الفضيلة وعلى بقية المفاهيم ... وتركز فكر سقراط حول مقولة " اعرف نفسك بنفسك " ويبدأ بالحوار والجدل ليولد الحقيقة من الأذهان حول الجمال ، والصدقة ، والشعر ، والعدل ، والشجاعة ..... الخ .

ويقدم سقراط ( أو ربما أفلاطون) المعرفة وكأنها إعادة الذكرى للروح الخالدة، ومن بين التربويين الآن - كما تزعم المؤلف - يمكنه الدفاع عن هذا؟ فالمعرفة ليست ذكرى تأتي للمرء من حياة سابقة ، بل هي تكوين مرتبط بنشاط فردي وفي حوارات أخرى ، لا يقنعنا المنطق المبني على مقدمات لسقراط لانقبلها أصلاً إذا كان الواقع الملموس بالفعل متناقضاً أو نسبياً ،

فلن نبحث عن التفسير فى عالم الأفكار الخالدة ( التى لا يؤمن بها أرسطو نفسه) على الأخص لو كنا بوذيين ننفي وجود الروح. كما أننا لن نقبل فكرة أن الكتابة لاتدل على العلم الحقيقى .

يقودنا ذلك إلى ملاحظة عامة - كما ترى المؤلفة - حول الحوار كأسلوب متدرج للبحث عن الحقيقة ، ومن معطيات إلى معطيات أخرى ، يرفض سقراط الشهادات العديدة مثل ما يقدم فى المحاكم . وهو لايهتم إلا برأيه وبالتوافق مع محدثه .

وتنقلنا المؤلفة بالحديث إلى أفلاطون ، ذلك الارستقراطى الذى أصيب بخيبة أمل فى مجاله السياسى ، وبعد أن قضى ثمانية أعوام من التلمذه على يد سقراط يؤسس أفلاطون الأكاديمية ويقدم أعماله الثلاث، الجمهورية ، رجل السياسة، والقوانين .

ويشير كتاب " الجمهورية" عند افلاطون الى أن الأخلاق والسياسة لايفترقان ، فالمدينة العادلة تنجب رجالا عادلين ، كما أن الرجال العادلين يبنون المدينة العادلة ، والعدل عند أفلاطون قائم على تقسيم العمل كما تحدده الإحتياجات المختلفة وإنجاز كل شخص لواجباته دون أن يتعدى على واجبات الآخرين ، ويميز أفلاطون بين ثلاث مهام هى : الإنتاج ، والدفاع ، والحكومة، والتربية بالتالى منوط بها إعداد الأفراد كل حسب المهام المنوط به القيام بها مع عدم التمييز بين الجنسين فى هذا المجال.

وتفرد المؤلفة عدداً من الصفحات لأرسطو - الذى يعد قمة

التضج الفلسفى فى اليونان - فهو معلم الإسكندر المقدونى ، وتشكل أفكاره الخاصة بالتربية جزءاً من سياساته المرتبطة بأعماله التى تتعلق بالأخلاق ( علم الأخلاق ، السياسة ، الإقتصاد ) وتدخل فى إطار ما يسميه أرسطو بالعلوم العملية ، فى الوقت الذى تتصل فيه العلوم النظرية بالمعرفة أو الحقيقة مثل الرياضيات والفيزياء وعلم اللاهوت ثم الفن .

وآراء أرسطو - كما ترى المؤلفة - فى التربية كما هو الحال عند أفلاطون مرتبطة بمفهوم المدينة ، وهى تؤرخ مثلها ، حيث استبقى أفلاطون التربية لفئة الـ gardieus أى الحماة ، أما أرسطو يربطها فقط بحياة اللهو التى يقدر عليها المواطن الغنى فقط الذى يساعده العبيد .

ويطور أرسطو موضوع التربية فى الجزء الأخير من محاضراته " السياسة " حيث هدف المدينة التى يحكمها حكام عادلون هو تحقيق السعادة للجميع ، لذلك ينبغى أن يتحلى المواطنون بالفضيلة ، ويصبح كل شئ (عدا الطبيعة) هو موضوع للتربية ، والتربية بالعادة تسبق التعليم بالعقل ، وتربية البدن تسبق تربية العقل .

وتستعرض المؤلفة آراء أرسطو فى مجال التربية منذ المرحلة الأولى من عمر الطفل حيث يجب تعويده على البرد وتشجيع الحركة لديه ، وعندما يبلغ السابعة تتولى المدينة تربيته حيث لا يدرس إلا الفنون التى تليق برجال أحرار .

ويرى أرسطو أن المواد الأربع الأساسية فى هذه المرحلة هى الآداب والألعاب الرياضية والموسيقى والرسم، وفيما يخص التربية يلجأ أرسطو إلى ثلاثة مفاهيم : الوسط العادل ، الممكن، اللائق ، وكل فضيلة هى وسط بين رذيلتين ، وأن ثمة نوعين من الفضائل ، فضائل فكرية وفضائل أخلاقية .

ويرى المؤلف أن أفكار أرسطو الخاصة بالتربية قد ارتبطت بفترة معينة من تاريخ أوروبا وهى الفترة التى كان العمل اليدوى فيها يحتل مكانة مشيئة.

وفيما يخص المدينة المعلمة التى تمارس التربية بأشكال مختلفة غير تطبيق القوانين والخوف من العقاب ، وهى تشمل المدينة والقرية حيث يزرع المواطنون الأرض بمساعدة العبيد ، وقلب المدينة هو الساحة التى يجتمع فيها المواطنون لاختيار القضاة بالانتخاب أو بالقرعة ويختارون الحرب أو السلم ، النفى أو الإعدام لبعض المواطنين ، وفى المدن الأرستقراطية يحظر على غير المواطنين التواجد فى الساحة.

أما عن الفن حسب تعبير أرسطو فهو يشبع لدى الإنسان حبه للتقليد ، وهو ليس مجرد تسلية ، فالتراجيديا تثير عطف وخوف المتفرج ، والمشاهد عندما يشترك بخياله فى هذه الانفعالات والشهوات التى تغرق الأبطال فى الآلام فهو يتحرر منها شخصياً.

والمسرح يؤكد رسالة الشعراء لأنه يتوجه الى جموع المواطنين ، ويصور بطريقة مباشرة أو تحت ستار الأسطورة



همومهم الحياتية ، وإذا كانت الكوميديا تشير إلى الواقع المباشر الذى تنتقده بحرية تامة ، فإن التراجيديا التى تكمل الملحمة بشكل مختلف تأخذ موضوعاتها من الأزمان القديمة لتقدم أمثلة تثير التأمل والفكر، يجب إشباعها أو رفضها ، وتستمر المؤلف فى تقديم العديد من النماذج المسرحية - من وجهة نظر أرسطية - لتأكيد هذه الأفكار - ، ثم تتناول الكوميديا التى تنطبق عليها نفس الملاحظات التى رصدت على التراجيديا ولكن بشكل أكبر ، بعد ذلك تنتقل الى الخطب السياسية كشكل آخر من أشكال التربية المدنية الذى تطور فى أواخر القرن الخامس وعلى الأخص فى القرن الرابع ق.م ، وقد أصبحت فى نفس الوقت نوعا من أنواع الأدب مرتبطاً بإزدهار الحياة العامة .

فالخطب السياسية تسمع أمام مجلس الشعب الذى يجتمع ثلاث أو أربع مرات شهريا وهناك خطب المناسبات مثل خطبة التأبين الخاصة بالجنود الذين ماتوا فى الحرب، وكذلك الخطب الأولمبية الموجهة لكل اليونانيين الذين يحضرون الألعاب ، وتعرض المؤلف لنماذج من هذه الخطب ومضامينها التربوية .

وفيما يخص الحكايات - التى تعتبر نوعاً من التربية غير الشكلية - وتشمل الحكايات والقصص والأمثال ، فثمة أهداف تعليمية أخلاقية تتضمنها ، كما أن الحكاية تستخدم فى المدرسة كموضوع للإنشاء ، أو التذكير حتى يستخلص منها الدرس المطلوب ، أو لتعاد كتابة الحكاية ابتداءً من الدرس المستخلص .

وبعد أن تتناول المؤلفة أحوال التعليم عبر الحضارات المختلفة ، بالحديث عن التعليم الإبتدائي الذى يبدأ بعد بلوغ الطفل سن السابعة ، وكيف يتعلم فيه الحروف الأبجدية والمفاتيح اللفظية والكلمات والجمل والنصوص التى تنقل في العادة مآثر أخلاقية ، وبالإضافة إلى الحروف وعلم الحساب يتعلم الطفل الرسم والموسيقى .

وفي التعليم الثانوى تستعرض المؤلفة التجربة اليونانية التى كانت تعنى بدراسة الكلاسيكيين من الأدباء والمشهورين والشعراء ، ولا يتناول الطالب هؤلاء الأدباء مباشرة وإنما يتعرف عليهم أولاً عن طريق الملخصات ، وفي الواقع كان تدريس العلوم يتراجع تدريجياً أمام الدراسات الأدبية وكذلك الموسيقى والتربية البدنية.

و التعليم العالى يفتح أمام الطالب مجالات ذات تخصصات متباينة . فالشكل الأول هو نظام "الفتوة" الذى أنشئ في أثينا كمرحلة تعليم مدنى ، ولم يعد هذا النظام في العصر الإغريقى الا مدرسة للتربية البدنية والذهنية حيث يتوافد عليها الشباب الأثرياء لدراسة (الثقافة الإغريقية) ، وعلى العكس من ذلك كان نظام التدريس بالمتاحف الذى يعد من أشهرها متحف الاسكندرية الذى يعد تلاميذاً في علوم مختلفة منها الفلسفة والطب وفقه اللغة والقانون.

ثم تنتقل المؤلفة إلى الحديث عن التربية في عصر المسيحية،

معتبرة تعاليم سيدنا عيسى نواة هذه التربية ، وبداية الدرس في فصل الدين عن السياسة ، حيث لم يدعو المسيح إلى الثورة لأن المشاكل السياسية لا تشغله " اعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله " .

لقد ظل عيسى - كما ترى المؤلفة - محتفظاً بالإطار الدينى لإسرائيل وهو يعلن شروط بلوغ ملكوت السموات ، ولكنه فسر ناموس موسي بطريقة مبسطة مخالفة في بعض الحالات من حيث حرفية النص ، و اضاف وأثرى في حالات أخرى كوصاياه .

وبعد أن تستعرض المؤلفة العديد من النصوص المسيحية تنتقل بالحديث عن الإعداد لمذهب في التعليم ترعاه المسيحية ، ويرى أن الفكر المسيحي تأثر في ذلك بعاملين :

الأول : الفلسفة اليونانية الخاصة بمدرستي الرواقية بمذهبها اللوجوس ( أى العقل الذى يحكم العالم والفرد معاً ) والأفلاطونية المحدثة التى ترى أن الروح تعيش على التوالى بين عالم العقل وعالم الحس .

أما عن العامل الثانى : فهو يرجع إلى الفكر اليهودى السكندرى الذى اتسم بالتفتح وإقامة جسر فكرى يصل بين فكر التوراه والفلسفة اليونانية ، بتطبيق أساليب الفلسفة على التوراه .

وترى المؤلفة أنه يمكن ملاحظة موقفين ظهرا بالتقريب عند المسيحيين فى نفس الوقت ؛ الموقف الأول يرفض أى ارتباط بالوثنية ويؤكد أن المسيحية هى التى تنفرد على الاطلاق بالاحتفاظ بالحقيقة .

أما عن الموقف الثانى فهو موقف مدرسة الاسكندرية التى تحاول جاهدة أن توفق بين الإيمان والعقل حيث يلجأ الإثنان الى مصدر واحد وهو " الله " . وبعد استعراض عدد من النصوص تتحدث المؤلفة عن المدارس المسيحية .

منذ القرن الرابع ومع تدهور الامبراطورية الرومانية إنتشرت دار للتربية كان لها الأثر البالغ على التعليم المسيحى ، وهى المؤسسة الرهبانية ، وكما يتضح من الاسم فالأصل يرجع إلى إنقطاع أوائل المسيحيين للإعتكاف الفردى ابتغاء لمرضاة الله ففى مصر أولاً ثم فلسطين وسوريا كان الأفراد يتبعون تعليمات المسيح " اذا أردت أن تكون مثاليا اذهب ومع ما تملك إعطه للفقراء ثم اقدم وأتبعنى " وظهرت طوائف منذ القرن الرابع حيث كان الزمن ممهدا للزهد والصلاة والعمل اليدوى ، وفى الحقيقة كانت الأديرة تستقبل مبكراً الأطفال الذين وهبهم آبائهم لله ، ويعهد هؤلاء المبتدئون إلى رهبان ذى تجربة لإعدادهم أخلاقيا وفكريا ، بتعليمهم الحروف ليتمكنوا من حفظ الإنجيل .

إن ما يسمى بالتعليم المسيحى ينتهى إلى التعليم الدينى ، أى إلى الإعداد الأخلاقى وفقاً لمبادئ الدين ، وبالتالي تقع المسئولية على الأسرة ورجل الدين الذى يعلم المبتدى قبل أن يعمده فى نهاية مدة الإختبار التى تستغرق ثلاث سنوات ، ويمتد هذا التعليم الدينى بطول عمر الإنسان ولكن بطريقة غير رسمية ، أى عن طريق الصلاة ، والإستماع للمواعظ ، والإشتراك فى الحفلات

والطقوس والحج وقراءة النصوص الدينية .

وبما أن المسيحية دين الكتابين العهد القديم والعهد الجديد بالإضافة إلى الأدب الأخلاقي الذي يدافع عن الدين وينشر العقيدة ، لذا اهتمت المسيحية بتعليم الآداب ، لكنها لم تنشئ - كما فعلت اليهودية - مدارس تتبعها ، ونظراً لعدم وجود لغة خاصة بها (كالعبرية في اليهودية) وغياب الظروف التاريخية والجغرافية التي أحاطت بنشأتها فإن المسيحية اكتفت بالرغم من وجود بعض المقاومة باستخدام المدارس الموجودة بالفعل .

وفي القرن الخامس أدت الغزوات الكبيرة التي تعد حركة واسعة من إنتقال الشعوب إلى انحلال الامبراطورية الرومانية في الغرب ، وباختفائها تفتح صفحة جديدة في التاريخ ، إلا أن ثمة إستمرار لنظام الرق كأساس للإنتاج ، ورغم إختفاء المدن وحلت الامبراطورية محل الممالك إلا أن الدولة ظلت بيروقراطية والسلطة أساسها القوة التي يشرعها الدين .

وترى المؤلفة باختصار أن التعليم الروماني التقليدي يتميز عن التعليم اليوناني في القرن الخامس من عدة أوجه : نفوذ أسرى قوى ، اتجاه عملي واسع قائم على القيم الريفية ، الإعداد العسكري ، تعلم القانون وفن الخطابة وقليل جداً من العناصر الفكرية ، وبالرغم من أن النظامين للتعليم الروماني واليوناني قد رسخا عنصر التضحية في سبيل الوطن ، إلا أنه يبدو أكثر قوة في روما عن أثينا ، فالسلامة العامة هي القانون الأسمى في روما .

ويتغير هذا الوضع تدريجياً مع توسع روما التي تصبح على اتصال يومي مع الثقافة الإغريقية وكان ثمة بعض العادات المشتركة ، وبدأ عدد الشباب الذين يكملون دراستهم في اليونان نفسها يتزايد من بينهم شيشرون وقيصر ، فالتعليم اليوناني لم يقتصر في الواقع على تدريس اللغة ، إن البلاغة والفلسفة قد شغلا مكانة كبيرة إذ إن علم البيان في كل من روما وأثينا كان يفتح أبواب المجد . فالمعلمون الأوائل الذين قدموا إلى أثينا هم الأبيقوريون ولكنهم طردوا منها ، حيث خشي مجلس الشيوخ من أن تبعد شبابهم عن الإعداد العسكري .

وبالرغم من جهود الشيوخ الرومانيين إلا أن التحول إلى الإغريقية شكلاً وثقافة أصبح أمراً لا يمكن مقاومته .

وتحدث المؤلفة عن شيشرون والتعليم في نهاية عهد الجمهورية ، حيث وصل نظام التعليم إلى أوج عظمته في القرن الأول ، ففي تلك الفترة الحافلة بالصراعات السياسية الحادة والتدهور الديني والأخلاقي ، فأصبحت الكلمة وسيلة الإقناع ولها السلطة المطلقة ، فكل رجال السياسة محامون من بينهم شيشرون الذي يعد من أشهرهم .

لقد أتم شيشرون دراسة القانون والفلسفة والعلوم وأمضى سنتين في اليونان حيث تابع دروس الفلسفة في أثينا وفن الخطابة ، وبفضل ثقافته القوية المزودة ( اللاتينية واليونانية ) أراد شيشرون دمجها معاً ، ليقدم خلاصة لهما .

وقد فرق شيشرون بين فن الخطابة والبلاغة ، حيث البلاغة ليست سوى الإعداد للخطابة ، وهى تشمل الفلسفة والتاريخ والقانون .

وقد بلغ النثر اللاتينى فى عهد شيشرون حد التفوق حتى نافس النثر اليونانى ، وبينما استمرت الصفوة فى تعلم اللغتين اللاتينية واليونانية إلا أن اللاتينية أصبحت بالنسبة للعمامة لغة أساسية فى التعليم .

وكما يحدث فى اليونان فإن التعليم بالمدرسة الابتدائية بروما ليس إلزامياً ويشرف على المدرسة مدرس خاص ، عادة ما يكون عبداً معتوقاً أو يونانياً زهيد الأجر ، حيث المهنة تعتبر حقيرة .

والطفل يتعلم أولاً حروف الأبجدية ثم المقاطع اللفظية ثم الكلمات ، ويستمر التعليم مرتبطاً بالتربية الأخلاقية ( التهذيب ) التى توجد على شكل حكم مكتوبة فى بيت أو بيتين من الشعر يقوم المعلم بقراءتهما وكتابتهما وإملائهما وتحفيظهما عن ظهر قلب للتلاميذ ، وأخيراً يتعلم الطفل العد على أصابعه ، وبالحصى ، وبالعداد .

وكما يحدث فى اليونان فإن المقرعة أو السوط يتدخل بكثرة . وعندما يبلغ الطفل الحادية عشرة من عمره يذهب الى المدرسة الثانوية إذا كان من أسرة ثرية حيث يتعلم قواعد اللغة والآداب اليونانية واللاتينية . وخاصة الشعر أما الدراسات العليا

فيتراوح عمر الطالب فيها من خمسة عشر إلى عشرين عاماً ،  
ويشرف عليها الخطيب الذى يتمتع بوضع متميز عن زملائه  
ويحصل على مرتب أفضل ، وبالرغم من جهود شيشرون إلا أن  
التعليم اقتصر على التقنية أى المناهج الفنية والصناعية ، أما عن  
الفلسفة فلم يظهر بها أى وجود ، ولم تشغل الموسيقى فى هذا  
التعليم مكاناً هاماً إلا أنها لم تهمل .

وتستطرد المؤلفة فى حديثها عن التعليم الرومانى ، وتتطرق  
إلى زيارة " بيرون " رائد الشك الهندي وتردده على الفلاسفة  
الهنود ، وكانت فلسفته قد أثرت بطريقة أو بأخرى على كل من  
الأكاديمية الجديدة ومذهب الرواقية الذى يستمد نظريته من  
مسلمات مادية وأخرى تعتمد على المتعة واللذة والسعادة .

وهكذا تستخلص المؤلفة ملامح التعليم الأوروبى من  
اليونان القديمة الى المسيحية فى العصور الوسطى قائلة أن ما يميز  
الرومانيين أساساً عن اليونانيين بالرغم من قرابتهم الهندية  
الأوروبية ، وتخص تعليمهم بهذه الميزة هو أنهم شعب من  
الفلاحين ، وأن غالبية طبقتهم تنتمى منذ وقت طويل إلى الملاك  
من أهل الريف وليست إلى الطبقة الارستقراطية المحاربة .

وترى أن نشأة القانون بالنسبة لليونانيين يرجع إلى روما التى  
قاومت فيها طبقة العامة من أجل أن يعترف بحقوقها طبقة  
الأشراف أو النبلاء .

وترى المؤلفة أن ثمة إختلاف بين اليونانيين والرومانيين على



مستوى الدولة، فالأخلاق عند اليونانيين من المسلمات الأولى ينبثق منها سلوك المواطن ( التعليم والتربية) بينما المواطن الرومانى له صفة قانونية ، هذا الاختلاف فى النموذج أدى الى نتائج هامة.

وتتحدث المؤلفة عن تعليم الشريف الرومانى ، حيث ترى أن إعداد الأمة الرومانية تفسر دور الأسرة فى التعليم الذى يحظى باهتمام أكبر مما يحظاه فى اليونان ، فالأم تربي إبنها وترسخ فيه الأخلاق الفاضلة ، وفى السابعة من عمرة ينتقل تحت إمرة والده الذى يمارس سلطته بضمير على عكس الأب اليونانى الذى يقضى وقته فى الساحة العامة بالمدينة ، وكان تربية الفتيات أكثر حرماً .

وعندما إزدهرت التجارة عندما أصبحت روما العاصمة السياسية والفكرية لمنطقة البحر المتوسط كان هناك فرق من الكتبة يكلفون بمضاعفة عدد النسخ من الكتب، إلا أن ورق البردى المصرى ظل نادراً ومكلفاً ومقصوراً على الأثرياء أما الآخرون فيكتبون على لوائح من الشمع أو الخشب أو على الحوائط وكسرات الخزف .

وكان فتح المكتبات العامة على غرار الأسكندرية عاملاً فى تشجيع القراءة وإنتشار المؤلفات ، ومن ناحية أخرى لا يقل الأدب أهمية بالنسبة لتجديد البناء الإيديولوجى للدولة ، وربط الأفكار ، ونشر الثقافة المشتركة ، وكان الهدف من تطوير التعليم هو سد

الحاجة للموظفين الأكفاء الذين تتطلبهم إدارة الامبراطورية الرومانية.

وترى المؤلفة فى النهاية - بالنسبة لهذه الحقبة - ان الحضارة اليونانية الرومانية تعتبر المسيحية حداثاً فاصلاً من حيث أنها ترفض جميع الآلهة باستثناء الإله الواحد ، وترى أن من الواقع النظر الى المسيحية من حيث أصولها الشرقية وإحتوائها ، لذلك تنتقل المؤلفة بالحديث حول الأزمات والبوادر المصاحبة لعالم جديد ( القرن الرابع عشر والخامس عشر ) والمسماه بالعصور الوسطى ، حيث التغيرات الإقتصادية والسياسية التى مهدت لعالم جديد يستعد تحت تأثير ثلاث حركات : علم الدين النقدى ، والإنسانيات ، والطباعة.

وبالنسبة للمؤثر الأول ترى المؤلفة أن فكرة أن لاشى يمكنه أن يحل محل العلاقة المباشرة بالإنجيل كانت أيضاً تابعة لحركة نشأت فى النصف الثانى من القرن الرابع عشر فى هولندا تدعو للإيمان الحديث الذى يؤكد على التقوى الداخلية والشخصية المستندة إلى التوراة ، فالتأمل ما هو إلا ممارسة تتخللها تمرينات أشبه بمراحل روحية ( مثلما فى الهند ) وثمة أهمية كبيرة للتعليم الممزوج بالتعليم المعنوى والنفسى .

وبالنسبة للإنسانيات فهى تعتبر حركة فكرية أخرى تشكل موقفاً جديداً فى الحياة ضد الأيديولوجية السائدة بالقرون الوسطى ، وهى حركة تكمل العصور القديمة والمسيحية ،

وتستبعد العلم والتكنولوجيا، حيث أن الإنسانيات ليست بحاجة  
لهما وأن معرفة القدماء تكفى لتكوينه ، إن القرون الوسطى لم  
تجهلهما ، ولكن دراستهما كانت تابعة للهدف السامى ألا وهو  
تأكيد الحقيقة الإلهية. بالتالى يصبح النموذج التربوى مركزاً على  
أهمية التعليم اللغوى ، والتعليم الفنى وهو يعطي للمرأة نفس  
حقوق الرجل فى التربية.

وفيما يخص المطبعة فتعتبرها المؤلفة أكثر الظواهر أهمية  
ولو أن آثارها لاتظهر إلا تدريجياً ، حيث زاد إنتشار الكتب وتم  
تداولها بشكل واسع .



## الجزء الخامس الإسلام الوحدة والاختلاف

### مقدمة :

يبلغ عدد معتنقى الإسلام حوالى ٩٠٠ مليون فرداً ، أى ما يوازى خمس سكان العالم، والرباط الذى يوحد بينهم هو أولاً الإيمان بالله الواحد كما يدل على ذلك لفظ إسلام الذى يترجم ترجمة شائعة " بالخضوع إلى الله " وتعد هذه الترجمة غير وافية إذ إن الخضوع ليس نتيجة إجبار خارجى ، وإنما ينبع من حب وتقدير الإنسان لمن خلقه وهده .

والله فى الإسلام واحد أحد ، ومطلق وسامى أكثر منه فى الديانتين الموحدين الأخرتين ، فليس عنده شعب مختار كما فى اليهودية ، ولا له " ابن " كما هو فى المسيحية ، فالثالث يعد منافياً للوحدانية .

وثانى عامل يربط المسلمين هو القرآن الكريم الذى يعنى " القراءة " فالقرآن هو غاية القراءة ، كما أن الإنجيل هو غاية الكتاب ، ولكن فى حين نجد أن الأنجيل مكون من أعمال مختلفة ألقت فى عصور مختلفة ، فالقرآن الكريم كله هو كلام الله الذى أنزله على محمد ﷺ ليبلغه للعالم أجمع ، وقد قام أول الخلفاء الراشدين بجمع نصوص القرآن المبعثرة ، بينما قام عثمان بإعداد النسخة

الرسمية ، وتم التخلص من باقى النسخ حتى لا يكون هناك أى مجال للجدال حولها، وقد قبل المؤمنون هذه النسخة حتى ولو أعتبر الشيعة أن بها تحريف بغرض التقليل من شأن سيدنا على (رضى الله عنه) الذى يعتبرونه هو الخليفة الشرعى الوحيد للرسول ﷺ .

وليس الحال كذلك بالنسبة للمصدر الثانى للإسلام وهو السنة أى الأحاديث الشريفة ، وحيث إن هذه الأحاديث لم تدون إلا فى أواخر القرن (٩م) ، فإن بعضها معترف به ، والبعض الآخر لايعترف به؛ أى من التيارات الثلاث الكبرى ( السنية والشيعة والخوارج) ، والمشكلة ليست فقط مشكلة النصوص ، وإنما هى مشكلة تفسيرها ، وهذه المشكلة تواجه كل الديانات ، اذ ماهو المعنى الفعلى لكل قول؟ فكل الديانات تقر بوجود معنى ظاهرى " حرفى" ومعان أخرى خفيه ويتضاعف هذا الغموض بتحد سياسى .

وقد أخذت الصراعات فى الظهور مع وفاة النبى ﷺ ، وبهدف خلق التلاحم بين العرب فكراً بالايمان ومادياً بالغنائم ، قام أول الخلفاء الراشدين ومن بعده عمر بن الخطاب بإعلان الجهاد «لنشر اسم الله فى أرجاء الأرض " و مع التوسع فى الفتوحات شرقاً وغرباً ، وانتشار الإسلام أخذ العالم الإسلامى المكون أصلاً من العرب ، فى التنوع تدريجياً، وظل القرآن الكريم واللغة العربية هما أكبر عاملى الوحدة، ولكن اللغة فقدت

دورها ، فلم يعد العرب يمثلون سوى سدس مسلمى العالم ، أما القرآن الكريم ذاته فيتم تفسيره بطريقة مختلفة من مكان إلى آخر ، ولما كان القرآن الكريم هو الوسيط الوحيد بين الإنسان وربه ، مما يجبر الإنسان على الجهد الشخصى فى التوصل لمعنى الآيات ، لذا فقد تغير شكل الإسلام وفقاً للعادات التاريخية لكل شعب ، ووفقاً لدرجة تحضرهم وتقدمهم الإقتصادى ، وكذلك وفقاً لسياسة الدولة.

هذه الوحدة وهذا التنوع ، هذه الإزدواجية الثقافية والمادية كل ذلك يظهر على مستوى التعليم ، كما يظهر فى الهياكل الاجتماعية فى مختلف المناطق التى دخل فيها الإسلام ، ثم بدأت الخصائص الذاتية لكل إقليم تظهر من جديد مع سقوط الخلافة العثمانية مما سمح لكل إقليم بتكوين شخصيته الخاصة تدريجياً.

#### الانسس والمحددات :

##### أسس التربية الإسلامية

الإسلام دين كتاب مثله فى ذلك مثل اليهودية والمسيحية، ولكن القرآن يلعب فيه دوراً فريداً ليس له مثيل ، فهو قبل كل شئ القانون الذى يتخذه المؤمن مرشداً فى حياته اليومية مع استكمال المحتمل بالسنة، فهذان هما الأساسان اللذان يقوم عليهما الدين وبالتالي التربية الإسلامية المرتبطة به ارتباطاً وثيقاً .

## القرآن الكريم :

يشكل القرآن الكريم فى تاريخ العرب حدثاً ثورياً ، فقد ظهر اسم العرب لأول مرة فى نص يرجع إلى منطقة بين النهرين فى القرن (٩ ق.م) ، وقد كانوا قبل الإسلام منتشرين فى آسيا الغربية بأسرها البعض منهم مشرك والبعض اعتنق المسيحية بعد ذلك ، وقد وحد الإسلام شبه الجزيرة العربية ليس فقط بالإيمان بالوحدانية، وإنما باللغة العربية التى هى لغة الشعراء قبل أن تكون لغة القرآن .

وقد كانت أول سورة أنزلت هى سورة العلق ( الآيات من ١-٥) تجعل الله هو الخالق المعلم ، وهى تأمر الخلق كأول إلزام بأن يتعلموا وأن ينشروا رسالته، الأمر الذى لا يقتضى الإيمان فحسب ، وإنما التحلى بالسلوك الملائمة، والإسلام لا يفصل بين الإيمان والأعمال ، ولا بين الروحانى والدينوى ، ووفقاً لهذه النظرة الشاملة يجب تفسير ما يسمى بالأركان الخمسة للإسلام والتى غايتها الاندماج والانسجام التام داخل المجتمع .

ويدور فكر القرآن الكريم حول نقطتين أساسيتين هما: العلم والجهل، وهو ما يميز باستمرار بين الذين يعلمون والذين يتعلمون والذين يناقشون عن معرفة والذين يتمتعون بالذكاء والفطنة ، وبين الذين لا يسمعون والذين لا يفكرون .

وكلمة " العلم " تعنى فى القرآن معرفة الله ، والعالم كله ماهو



إلا مجموعة من الآيات تشير إلى قوته، والقرآن يدعو إلى تدريب العقل وتمريبه ، ولكن في حدود معينة هي حدود الدين ، والآيات لا تكون واضحة إلا للذين يؤمنون " الذين أوتوا العلم " (العنكبوت - الآية ٤٩) . وسوف تأخذ كلمة "العلم" بعد ذلك معنى أوسع في بعض الأحاديث وحيثما يقوم الفلاسفة بعد هضمهم للتراث اليوناني بإضفاء معنى أكثر وضوحًا .

وكما جاء في الوصايا العشر في الإنجيل فإن القرآن يحتوى - خاصة في سورة الاسراء من الآية ٢٣ حتى الآية ٤١ - على وصايا للمؤمنين ، وكما حذر المسيح أنصاره من ملكوت السموات ومن القيامة ، فإن محمد ﷺ قد تلقى الرسالة بأن الساعة قريبة حيث السماء سوف تنشق ، وحيث سيحاسب الله العادلين الذين سينعمون بالسعادة الدائمة في جنات عدن ، بينما سيحترق الآخرون في جهنم .

وتعكس السور المدنية الصراع مع الكفار والمترددين والمنافقين، والعلاقات مع اليهود والمسيحيين ، والحياة وسط الجماعة ، ويسن القرآن الكريم قواعد عامة مرتبطة بكل هذه الأنشطة ، تلك القواعد وكذلك الأحاديث النبوية التي تكملها وتفسرها هي بمثابة الأساس للفقهاء الإسلامى ، وإلى جانب "اركان الإسلام الخمسة " فهناك تعليمات فيما يخص الجهاد (الجهاد مع النفس ومع الآخرين) ، الأحوال الشخصية (الزواج، الطلاق ، الميراث) ، العقود بين المؤمنين ، العقوبات بالنسبة للأخطاء

الجسيمة ( السرقة ، الزنا ، الإفتاء على المحصنات ) ، المحرمات ( الخمر ، لحم الخنزير ، الميسر ، الربا ) واحترام ممتلكات وحقوق الآخرين ، الحسنات ، العدل والعدالة ، ومن الناحية الأخرى بعض التعليمات التى تدين الإسراف والبخل .

وينص القرآن على العدالة التامة بين جميع المؤمنين دون أى تفرقة ، وعلى العكس من الإنجيل الذى يجعل المرأة تولد من الرجل ، فإن القرآن يعلن أن الإثنين خلقا من كائن واحد ، كما أن المرأة ليست أقل من الرجل وهى مسئولة مثله عن أفعالها ، ولكن الحال ليس مشابها على المستوى الإجتماعى ، فوضع المرأة ، وكذلك وضع العبد قد تحسن حقاً بالنسبة لعصر الجاهلية ، ولكن بالرغم من ذلك فقد تكرر أكثر من مرة التأكيد على سلطة الرجال على النساء بسبب التفوق الذى منحه الله لهم وبسبب ما ينفقونه عليهم (النساء ، الآية ٣٤) ، ويمثل القرآن - بالنسبة للجاهلية وكذلك بالنسبة للعرب - تقدماً كبيراً ، ولكن وضع المرأة أخذ ينحدر تدريجياً مع التدهور المادى والثقافى والتشدد فى المواقف الاجتماعية .

ويشتمل القرآن على مجموعة من المبادئ التى كان من شأنها تحقيق جماعة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، موجهة للجهاد الأكبر أى مجاهدة النفس ذاتها ، الجهاد اليومى ضد الشرور والأهواء ، ولايكف القرآن الكريم عن التذكير بضرورة اتباع القول بالفعل ، وأن الثواب سيكون على الأفعال ، والمسلم

الصحيح هو الذى يقوم بالتزاماته الدينية بإخلاص ، أما أكبر معصية فهى الإشراك بالله جل جلاله ، ومن ثم فإن التربية الأخلاقية مشتقة من الدين .

**السنة :**

المصدر الثانى لتشكيل نظام تربوى إلى جانب القرآن الكريم هو حياة النبى ﷺ الذى يعد مثالاً يجب أن يحتذى به كل المؤمنين، والقرآن الكريم نفسه يقدمه كذلك ( سورة الأحزاب - آيه ٢١ ) .

وقد جمعت أقوال الرسول ﷺ والقصص الخاصة بأفعاله لتكون مرشداً ومثالاً للأمة الإسلامية ، وقد بدأ على أيدي الأمويين جمع وكتابة الأحاديث بهدف تفسير وإكمال تعليمات القرآن .

وقد وضعت معايير معينة للتمييز بين الصحيح وغير الصحيح ، والمعيار الأساسى هو قوة السند الذى قدمه صحابه رسول الله ﷺ . وهنا نجد بداية النقد التاريخى ( وقد ذكرت نفس الملاحظة فيما يخص بوذا والمسيح ) لضمان صحة القول حيث هناك احتمالات للتلاعب السياسى أو الدينى إلى جنب عنصر خيانة الذاكرة ، وبظهور المجموعة الأولى من الأحاديث فى نهاية (ق ٩ م) فقد أثارت اعتراضات، إذ كانت هناك تداخلات سياسية فى كثير من الأحاديث خاصة فيما يتعلق بشرعية الخلافة.

ومعيار قوة السند معيار "خارجى" لا يكفي للإثبات العلمى ، ولم يهتم علماء الحديث المسلمون كثيراً بالنقد "الداخلى"

للمصوص ، ومن الواضح أن هناك بعض الأحاديث التي تم  
تخليقها لتأييد مطالب جماعة معينة ، أو لتأييد قضية ما .

ومهما يكن ، فلا يمكننا إغفال الأهمية التي توليها الأحاديث  
لمسألة التعليم ، ألم يعلم الرسول ﷺ أن الله أرسله ليكون معلماً  
للناس ، والعلم الأعظم هو الذي يوصل إلى الله والذي يكون في  
خدمته ، وهناك كثير من الأحاديث النبوية التي تبين هذا ، ومنها  
على سبيل المثال :

" من يريد الله به خيراً يفقهه في الدين "

" اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد ولو بالصين "

" طلب العلم أفضل من التفرغ للصيام والعبادة "

" يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدم الشهداء "

" العلماء ورثة الأنبياء ، لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وإنما  
ورثوا العلم "

نحن نتساءل عما إذا كان الكثير من هذه الأحاديث ليست  
صحيحة ، وإنما اخترعها بعض العلماء لرفعة شأنهم وتقنينه في  
المجتمع .

**الدين والمجتمع :**

بدأ الإسلام في التوسع بسرعة رهيبية ، ولكن الشيء الجدير  
بالملاحظة هو أن هذا التوسع لم يكن توسعاً دينياً وحربياً وسياسياً  
فقط ، وإنما كان توسعاً فكرياً وفنياً أيضاً حيث تمكن المسلمون في

قرن واحد تشييد حضارة من أجمع حضارات المعمورة فما هي العوامل التي ساعدت هذا التوسع؟ وكيف كانت الظروف الاجتماعية التي ظهرت فيها التيارات والمدارس التي أثرت على النشاط التربوي هناك؟ .

### بدايات الحضارة الإسلامية :

كانت منطقة شرق البحر الأبيض المتوسط منذ الألفيتين الماضيتين من أكبر المراكز الثقافية في العالم ، حيث إنها ملتقى المؤتمرات الآتية من منطقة بين النهرين والمؤثرات المصرية والهندية والإيرانية واليونانية والرومانية ، ومع إنتقال العاصمة من المدينة المنورة إلى دمشق فتح الأمويون للعرب الخارجين حديثاً من الجاهلية أفقاً جديدة ، وسرعان ما أثمر هذا الاتصال ، فمنذ سنة (٦٩م) ترمز قبة الصخرة في القدس ، أى أول أثر في العمارة الإسلامية إلى استمرار رسالة التوحيد وذلك بموقعها المقدس سواء عند اليهود أو عند المسيحيين ، كما ترمز إلى عظمة الدين الجديد بعظمتها والثراء الخارق لزخرفتها ، مما يميز هذا الفن الذي عرف كيف يجمع بانسجام بين المؤثرات اليونانية والرومانية والساسانية من أجل خلق أسلوب جديد من نوعه .

وقد شجع الخلفاء حركة العلوم والترجمة مثل الخليفة المأمون الذي أسس أو أعاد تأسيس بيت الحكمة ببغداد نحو سنة ٨١٥م الذي كان يحوى مكتبة ومرصداً حيث كان يعمل باحثون نادراً ما جُند في العالم العربى الحالى من يساويهم فى دقة

منهجيتهم وفي علمهم ، ولم يكن ذلك اهتماماً بالمعرفة بقدر ما كان اهتماماً عملياً وتطبيقياً ( الرياضيات ، والفلك ، والطب ) ورغبة في توفير ما يحتاجه الدين الجديد من أدوات تحليل ، من مفاهيم وأساليب ( منطق ، فلسفة ) تساعده على منافسته الفكرية مع المسيحية واليهودية والزرادشتية .

وقد كان لأرسطو عند العرب أثر أكبر من أثر أفلاطون ، فقد كان معلماً فكرياً لكل المتعطين للمعرفة العلمية ، وقد ترجمت كل أعماله سواء مباشرة من اليونانية أو مروراً باللغة السريانية في مقابل بعض محاورات لأفلاطون ، وإلى جانب أن هذه الترجمات ساعدت على الانفتاح على الفكر القديم ، فإنها لعبت دوراً مهماً في إثراء اللغة بكلمات ومفاهيم ومواضيع جديدة ، وهكذا تحولت اللغة العربية من لغة شعرية إلى لغة حضارة بالمعنى الأشمل ولغة تحليل فلسفى وعلمى .

وهناك أيضاً عامل مهم جداً سيعمل على تقدم الحضارة والتعليم وهو التنوين وإدخال العلامات الصوتية . وقدم الشيعى سيويه (المتوفى ٧٩٢م) عرضاً منهجياً لقواعد اللغة ، وقد خدمت هذه التطورات اللغوية سياسة الأمويين الذين كان هدفهم توحيد الأمبراطورية بواسطة الدين واللغة أى بالتعريب ، وبصفة خاصة القرآن الكريم الذى يمثل فى حد ذاته عاملاً أساسياً للترابط اللغوى .

ويشير ابن خلدون فى مقدمته ( ح ٦ ، ٤١ ) إلى أن معظم

العلماء المسلمين سواء فى الدين أو فى العلوم لم يكونوا عرباً ، هذا مع أن الإسلام دين عربى أسسه عربى " وهو يفسر هذه الظاهرة بنظريته الخاصة بارتباط الفنون والحضارة بالحياة المدنية فى حين كان البدو الرحل بعيدين عن كل ذلك ، ويقدم ابن خلدون سبباً آخر لهذه الظاهرة وهو أن العرب كانوا يتولون السلطة ، ولم يهتموا بالمواضيع التى ليست لها علاقة بهذه السلطة .

وقد ساعد عامل أخير فى إنتاج الأعمال وفى التقدم الذهنى ألا وهو إنتشار الورق، وقد اخترعه الصينيون سنة ١٠٥ م وأوصلوا سر هذا الاختراع للعرب ، وقد اقيم أول مصنع للورق فى سمرقند ثم فى بغداد سنة ٧٩٥ م ، ثم فى دمشق ، ثم فى اسبانيا ، وفى جزيرة صقلية .

#### السياق الاجتماعى :

لا يمكن فهم مسار التعليم الإسلامى إلا إذا وضعناه فى اطار الظروف الاجتماعية ، فهذه الأخيرة كان يسودها الدين، وقد كان الرسول ﷺ هو أول معلم ، وكان فى المدينة المنورة هو الرئيس الروحى والدينوى للأمة ، وقد استمد هذه السلطة من الله سبحانه وتعالى ، كما أن الدولة المسلمة تحكمها الشريعة السماوية التى تغطي كل مناحى الحياة العامة والخاصة للمؤمن ، وفى عهد الخلفاء الراشدين استمرت الدولة الإسلامية فى اتباع المبادئ السابقة، وقد حدد وصول الأمويين للحكم بداية القطيعة بالنسبة للتقاليد ، حيث إن هذه الامبراطورية الشاسعة لم تستطع أن تسير

أمورها بنفس أسلوب المدينة ، كما أن تغيير العاصمة إلى دمشق كان له معنى كبير ، فقد طالبت الحكومة بتشكيل الشئون الإدارية والعدل والضرائب والتعليم بالإضافة الى أن الفتوحات والغنائم والسلطات كل ذلك كون طبقة من الأفراد المتميزين في الوقت الذي يرى فيه أن المواليين لم يحصلوا على مساواتهم بالعرب .

ومثل بعض المجتمعات الأخرى التي كانت تعيش في هذا العصر كان المجتمع الإسلامي منقسما الى فئتين ، الأحرار والعبيد، وقد وجد العبيد أن القرآن قد رفعهم إلى مكانة أعلى . كما أكد على الثواب الكبير الذي يكسبه الناس عند تحريرهم الغوانى ، هكذا ثار العبيد الأتراك في الجيش وفي الإدارة حتى كونوا أسراً حاكمة في أفغانستان ( الفرزنيون ) وفي الهند ( سلطنة دلهي ) وفي مصر ( المالك ) .

وضمن الأحرار فهناك الخاصة والعامة ، تتكون الخاصة من كبار الموظفين والضباط ورجال العلم وكبار التجار وأصحاب العقارات ، أما العامة فتتكون من الفلاحين والعمال والحرفيين وصغار التجار ، ولم تكن هناك حدود فعلية بين هاتين الفئتين فيمكن للمرء أن يعتبر من الخاصة لو حصل على الثراء أو التعليم أو البطولات .

وتحتل طبقة العلماء منزلة متفردة في المجتمع الإسلامي بناء على الدور الذي تلعبه المعرفة والذي أكدّه الرسول ﷺ بنفسه ، ولم يكن العلماء وهم المتعلمون الوحيدون فهناك كبار الموظفين



(الكتبة) والفلاسفة الذين كان معظمهم من أصل فارسي ، وقد ساعد وصول العباسيين للحكم ونقل العاصمة إلى بغداد على ظهور الفئة الأولى التي أدخلت نظام التقاليد الإدارية الساسانية ، وقد تولى الوزارة أسرة البرامكة الفارسية لمدة ما يقرب من عشرين عاما (٧٨٦ - ٨٠٣م) ، وبالرغم من دخولهم الإسلام إلا أنهم ظلوا بدرجة أو بأخرى مرتبطين بالثقافة اليونانية .

إن مهمة التعليم هي تشكيل السكان بناء على مبادئ المذهب السائد بما في ذلك الطبقة الحاكمة نفسها ؛ وإن لم يكن حتى وقت قريب قد نظمت الدولة ؛ فالمباني الدراسية كانت تنشئها الأوقاف الخاصة ، ولكن الأهداف السياسية للتعليم لم تكن غائبة ، أما مناهج المدرسة التي تخرج العلماء فهي قائمة على الدروس الدينية وتستبعد الفلسفة والعلوم إلا في حدود خدمتها للدين .

وفي البداية كان المبدأ السائد هو أن نقل المعرفة يجب أن يكون مجانياً وقد سمحت إقامة الاوقاف بإعطاء المدرسين راتباً معيناً وذلك من الدخل الذي يعود إليها ، مما جعل التعليم مهنة مربحة ، وكانت المدارس تخرج الكوادر الأساسية لنظام الحكم .

#### التيارات والمدارس :

رغم أن كل العلوم الإسلامية تنبع من القرآن ، إلا أنه لم يكن التفسير واحداً مع أن الأسس التي بنى عليها كانت مشتركة ، فقد تبع التفسير إتجاهات كل تيار ديني وقضائي وصوفي في حين ظلت لمدة طويلة الفلسفة التي كانت تعد مخالفة للدين ومن أصل

أجنى مستبعة من المدارس كلها .  
التيارات الدينية :

شهدت القرون الأولى من الإسلام غلياناً فكرياً فيما يخص المسائل الكبرى التي يعرضها والتي تسمح التناقضات الظاهرة للقرآن والحديث بالتوصل فيها إلى إجماع ، منها تعريف الحكم ، الحرية والجبرية ، الإيمان والأعمال ، القدرة العظمى لله سبحانه ، التمييز بين الخير والشر.. ولم تكن هذه المناقشات مستقلة عن التقسيمات السياسية طالما أن هذه الأخيرة تظهر تحت اسم الإسلام "الحقيقي" الذي يختلف من مجموعة إلى أخرى .

وقد برز الانفصال بين التيارات الثلاث الكبرى ؛ السنة والشيعة والخوارج بعد وفاة الرسول ﷺ مباشرة بسبب مسألة الخلافة ، وقد ظهر الكلام تدريجياً طوال الكفاح الذي قام به كل تيار . هذا اللفظ الذي يعني "الخطاب" بداية أخذ يشير إلى الدين ، وأصبح المتعلم هو الذي يهتم بعلم الكلام .

بالنسبة للشيعة فإن علياً رضى الله عنه كان من المفروض أن يكون الخليفة الشرعي للرسول ﷺ لأن الرسول قد أسر له بالمعنى الخفى للقرآن ، أما ظاهر الدين فليس له معنى إلا فى باطنه ، وقد تسببت خلافة جعفر الصادق سنة ٧٦٥م فى انقسام وسط أهل الشيعة ، فقد اعترفت الغالبية بموس القاسم كوريث للإمامة ، وقد امتدت سلالته حتى الاختفاء الغريب للإمام المستور الثانى عشر سنة ٨٧٤م الذى يعد آخر الأئمة بالنسبة لمن يطلق عليهم اسم

الإثنا عشريين .

وهناك جماعة أخرى قامت بما يقرب من ثلاثة قرون بدور سياسي وفكري مهم ، هذه الجماعة هي الاسماعيلية من بني اسماعيل الإبن الأكبر للإمام السادس جعفر الصادق ويطلق اتباع هذه الجماعة عليهم اسم السباعيين لأنهم يعتبرون ابن اسماعيل (الذى توفى قبل الأوان) هو إمامهم السابع والأخير . ويظهر الإمام الاسماعيلي في حركة القرامطة التي أسست في البحرين وفي شبه الجزيرة العربية الشرقية دولة مستقلة (٨٩٤م - نهاية ق ١١م) ، وقد حظى هذا المذهب بأكبر نجاح في شمال افريقيا . وقد وقعت مصر وهي السند الأساسي للإسماعيلية حينما أخذ صلاح الدين الحكم من الفاطميين وأعاد تأسيس السنية سنة ١١٧١م .

وبين الشيعة والخوارج اختار المذهب السني الطريق الوسط، طريق الإجماع الذي تكونه غالبية المجتمع الإسلامي ، لذلك في حين كانت الشيعة تؤكد على المعنى الخفى للرسالة نجد أن السنة مهتمة بالمعنى الحرفي للقرآن الذي يضمن لأهل السنة الوحدة في مقابل الشقاق .

ويوجد مذهب المعتزلة الذي أسس في القرن الثامن ، وتتسم بالعقلانية وهي تؤمن بمبادئ خمسة منها : التوحيد بمعناه الأكثر تجريداً والأقل تجسيمياً ، والعدالة الإلهية ، الوعد بالجنة للمؤمنين والتهديد بالنار للمذنبين .. وعندما وصل الخليفة المأمون للحكم (٨١٣ - ٨٣٣م) اعتقد أنه بإمكانه تبني مذهب المعتزلة، ولكن

عدم قبول فكرة أن القرآن لم يخلق صدم التقليديين حتى أنشأ الخليفة المأمون محكمة دينية ، حتى جاء الخليفة المتوكل ووضع نهاية لها ومنع المضاربات العقائدية (٨٤٩م) ولم ينته فكر المعتزلة ولكنهم فقدوا السيطرة أمام المذهب الحنبلي ثم أمام المذهب الأشعري ، وفي عام ٩٦٠م على وجه التقريب انضم الأشعري الذي كان في بادئ الأمر من أتباع المعتزلة إلى المذهب الحنبلي أو على الأصح حاول أن يخلق من الإثنين طريقاً وسطاً بين العقلانية والحرفية .

وكان أكبر من يمثل المذهب الأشعري هو الغزالي (١٠٥٨ - ١١١١م) ، فقد حارب في نفس الوقت المعتزلة والفلاسفة التشبث بكل ما هو حرفي للقضاة ، ومذهب الباطنية الخاص بالاسماعيلية ، ومن أقواله : " من لا يشك لا يفكر ، ومن لا يفكر ، لا يرى ، ومن لا يرى يظل يحيا في الظلام والحيرة والخطأ " وقد حصل الغزالي على لقب حجة الإسلام لأنه وضع العقيدة الصحيحة بتجميعه لكل العلوم الدينية ، وقد حاول من بعده فخر الدين الرازي (١١٤٩ - ١٢٠٩م) التوفيق بين الفلسفة والدين ، ثم يجيء عصر " المحافظة المنجمدة " الذي يتجلى في تفسيرات مكررة إلى ما لانهاية في كتب تافهة مفتقرة للأصالة ، وقد بلغ هذا التجمد النشاط الفكري مع منتصف القرن الرابع عشر في الغرب الإسلامي باستثناء إيران ، ويعد ابن خلدون الاستثناء الذي يؤكد القاعدة ، لأن أعماله تكاد تكون مجهولة فلم يكتشفها العرب إلا

فى القرن العشرين .

### المدارس القانونية :

تمت صياغة القانون الإسلامى فى وقت المناقشات التى حدثت فى القرنين الثامن والتاسع الميلاديين ، ومع التحول من الدولة البسيطة بالمدينة المنورة إلى امبراطورية كبيرة تضم شعوباً غير متجانسة أصبح هناك الكثير من العادات والتقاليد المختلفة ، وقد كان القضاة الأوائل يصدرون قراراتهم وفقاً " لرأيهم العميق " مرتكزين فى ذلك على الممارسات العادية والمصادر الدينية ، وحيث إن هذا رأى قد يعد تعسفياً لأن القرآن الكريم لا يمكن إلا أن يكون واضحاً تمت صياغة أسلوبيين لإصدار أحكام القضاء : القياس والإجماع .

ويعتمد القياس على عملية استقراء واستنباط ، فمن قاعدة خاصة فى القرآن الكريم يتم استقراء قضية عامة ، ومن هذه القضية تستنبط تطبيقات خاصة على حالات لم يتعرض لها القرآن الكريم أو الحديث الشريف ، ويقوم معيار الإجماع على فكرة أنه وفقاً لحديث نبوى " لن تتفق أمتى أبداً على خطأ " وفى الواقع فإن مفهوم الإجماع على مسائل النظريات والتطبيقات الدينية يصعب تعريفه فانتخاب الخلفاء الأوائل قام به عدد قليل من الصحابة .

ويعترف أهل السنة منذ نهاية (ق ١١ م) بأربع مدارس للقانون نشأت فى القرنين الثامن والتاسع وتعترف بالقرآن وإجماع العلماء والفكر والقياس كأصول للفقه مع تفاوت العنصرين

الأخيرين فى الأهمية ، وهناك مصادر أخرى كالآراء الشخصية تتخذها بعض المدارس .

وأول مدرسة قضائية هى التى أقامها أبو حنيفة فى الكوفة (٦٩٩ - ٧٦٧م) حيث يطالب بالرأى الشخصى المبني على العقل وكذلك على المصلحة العامة ، وعلى الحكم بالمثل . أما مدرسة أنس بن مالك التى أقامها فى المدينة المنورة سنة ٧٩٥م فهى لا تهتم بالتفكر والتأمل بعكس المدرسة الأولى ، وهى تتبع أساساً تقاليد المدينة المنورة التى يعتبرونها الإرث المباشر لفترة النبوة ، أما المدرسة الثالثة فهى مدرسة الشافعى (٧٦٧ - ٨٢٠م) التى لعبت دوراً فاصلاً فى إعداد أسس القانون وذلك باعتماد فكرة القياس ومبدأ الاجماع بالطبع بعد القرآن والسنة ، أما المدرسة الرابعة فهى التى يدينون بها لابن حنبل (٧٨٠ - ٨٥٥م) فهى ملتزمة حرفياً بالقرآن الكريم والسنة ، وهى تفيد بالعقل والرأى الشخصى ، كما أنها أكثر المدارس تعلقاً بأصول الدين ، وأكثرها تحفظاً .

#### الفلسفة :

كلمة فلسفة مشتقة من الكلمة اليونانية Philosophia وهى كلمة اتخذت مع الإسلام التقليدى معنى محقراً لأن الإسلام يعارض حركة الفكر التى تأثرت باليونانيين تبعاً للترجمات الكثيرة لأعمالهم التى ظهرت فى القرن التاسع .

والفلاسفة العرب ( الذين يكتبون باللغة العربية أيا كان أصلهم ) ليسوا فلاسفة بالمعنى الحالى للكلمة ، مثلما هو الحال

عند اليونانيين أنفسهم ، فهم يهتمون بمجالات كثيرة : قواعد اللغة ، الرياضيات ، الطبيعة ، الموسيقى ، الأخلاق ، الطب ، الفلك ، علم التنجيم والكيمياء .

وأكثر هؤلاء العلماء شهرة في العالم هو البيروني (٩٧٣ - ١٠٥١م) وهو لم يكن فيلسوفًا حقًا ، ولكن كانت له رؤية فلسفية للعالم يمكن أن نستخلصها من كتاباته التي تغطي كل المجالات تقريبًا ، وكان دائم البحث عن المعرفة ، فهو يبرهن على موضوعيته وعلى تفهمه للآخرين وكذلك على روح التسامح تجاههم .

أما الفارابي (٨٧٢ - ٩٥٠م) فقد ولد في آسيا الوسطى وهو تركي اسماعيلي وصوفي ، تعلم كل العلوم حتى أطلق عليه لقب "المعلم الثاني" بعد أرسطو ، وهو أول عالم إسلامي صنف العلوم وميز بين الجوهر والوجود ، كما هو أحد كبار المهتمين بالموسيقى ووضع نظرية علمية خاصة بها ، ويعتبر الفارابي أن الوجود هو إحدى صفات الذات وأن الذكاء الإنساني ينيره "العقل الفعال" أي ما يشكل المادة ، وهو يشبه بالنسبة للذكاء الشمس بالنسبة للعين ، إذ إن العين في الظلام لا تعطى إلا رؤية افتراضية ، ولم يقدّر الفارابي بالتدريس ، ولم يكن له أنصار مباشرون ، ولكن أعماله أثرت على الكثيرين منهم ابن سينا .

ولد ابن سينا بالقرب من بخارى (٩٨٠ - ١٠٣٧م) ، وهو فيلسوف وطبيب ووزير أطلق عليه مواطنوه لقب المعلم الأول

حيث إنه لم يترك مجالاً دون أن يعالجه ويدين ابن سينا كثيراً لأرسطو ولبلوتان من جهة وللكندي والفارابي من جهة أخرى ، ويضع ابن سينا المنطق في مكانه عالية لأنه يرى فيه "مقياس العلم" حيث إنه يسمح بتفهم ما هو غامض بواسطة ما هو معروف ، ويتطور إشكالية القياس ، الذي تقوم عليه فلسفة أرسطو وذلك بإدخاله الجدل الذي يقوم على الأحكام الجازمة وكذلك على الأحكام التي تنبع من الافتراضات أو الأعراف ، ومع ذلك فإن آرائه عن المنطق لاتصل إلى أهمية آرائه عن الميتافيزيقيا ، فابن سينا يعتبر الميتافيزيقا هي العلم الأساسي الذي يعطى لبقية العلوم البرهان فيما يخص مبادئها وأهدافها .

وقد هاجم الغزالي هؤلاء الفلاسفة هجوماً عنيفاً في كتابه "مقاصد الفلاسفة" ثم في كتابه "تفكك الفلاسفة" ، وهو يدينهم بأسباب أساسية مرتبطة بالكفر ، وهي تأكيدهم بخلود العالم ، ونفيهم للبعث وفكرة أن الله لا يدرك إلا ما هو عام وليس ما هو خاص ( أي أعمال الإنسان ) ، ومن الأندلس رد ابن رشد ( ١١٢٦ - ١١٩٨م ) على نقد الغزالي للفلاسفة بكتابه "تفكك التفكك" ، ولأنه أكثر الفلاسفة المسلمين المتأثرين بأرسطو ، فهو يوفق فكرة الخلود والرسالة القرآنية ، كما يؤكد أن الفلسفة والدين مجالان مختلفان ، فالدين ينادى باستخدام العقل لدراسة الأشياء ، ولكن العقل غير قادر على التوصل إلى كل ما يدخل في إطار الدين . وتجدر الإشارة إلى أن ابن رشد من القلائل ضمن الكتاب



المسلمين الذين كانت لهم أقوال تنصف المرأة ، وقبله دافع ابن حزم (٩٩٣ - ١٠٦٤م) ( وهو عالم فى الدين والقانون) عن المساواة بين الرجل والمرأة فى الحقوق وذلك بتطبيق القرآن والسنة أنفسهما ، وهو يستحق التقدير لرأيه فى الحب الذى يفسره انتماءه للمجتمع الأندلسى فى القرن (١١م) ، وكذلك للحب الذى وهبه للنساء اللاتى لهن الفضل فى تربيته وتعليمه .

وتنتهى مع ابن رشد الفترة الكبيرة للفلسفة المتأثرة بأرسطو ، وتنتقل الشعلة إلى مدرسة الأشراف التى أسسها سهروردي (١١٥٥ - ١١٩١م) الذى اتهم بالكفر والإلحاد ، وهذه المدرسة قريبة جدا من مذهب الشيعة ، الا أن تحقيق الروح ما زال مرتبطا فيها بالبحث الفلسفى .

### التصوف :

إذا كان الفلاسفة قد لعبوا فى مجال التربية دوراً هامشياً من حيث انتشار أفكارهم وقلة تلاميذهم ، فهذا يعكس الاتجاه إلى التصوف الذى ظهر منذ البدايات ، والذى سوف يتطور تطوراً واسعاً فى كل البلاد الإسلامية لأنه يملأ فراغ العامة وتدينها المفرط الذى لاتشبعه شرعية العلماء ، والتصوف المسلم مثله مثل غيره ، صفاته الزهد ، العبودية المطلقة لله ، والتخلى عن كل الأباطيل والملذات وكذلك الاعتزال للصلاة والتأمل .

ومنذ القرن الأول الهجرى ، فإن استماع الرسول لكلمات الله ونشوته عندما نقل فى حضرته سبحانه ( سورة الإسراء) قد

أصبحا مثالين لبعض أنصاره الذين تطلّعوا بالزهد الى الرؤية الإلهية ، وفي القرن الثامن ظهر بالفعل إتجاه يناهض الغنى والترف اللذين تجلبهما الفتوحات وهما اللذان فد يفسدان البساطة والعدل اللذان ينادى بهما القرآن ، لذلك فالصوفية يظهرن معارضتهم بالإنسحاب مثل الناسك المسيحي الذي كانوا يرونه عندما يعيش فى الصحارى أو الكهوف ويلبس الملابس الخشنة ، وقد امتدت هذه الحركة من المدينة المنورة إلى الكوفة وإلى البصرة ثم دمشق وبغداد حتى خراسان والسند ، ومن أوائل الصوفية هناك المعتزلة ، وكذلك امرأة من البصرة اسمها ربيعة ( توفيت سنة ٨٠١م ) مؤلفة قصيدة جميلة تتغنى فيها بالحب الإلهى ، والتي مطلعها : أحبك حين .

هذا الإتجاه كان لابد أن يصدى الإسلام الشرعى والحرفى خصوصاً وأن الصوفية كانت تظهر بعض القرابة بالنسبة لأهل الشيعة ، حيث إنهم جميعاً يعبدون علياً (رضى الله عنه) ويواصلون البحث عن الحقيقة الروحية ، وفى القرن التاسع تتشكل نظرية حول مفهوم التوحيد والطريقة والحقيقة والفناء والبقاء فى الله ، فتظهر مدرستان ؛ مدرسة خراسان ، ومدرسة بغداد .

وتنتشر الصوفية ابتداءً من القرن الثالث عشر الميلادى من العراق وإيران إلى تركيا ومصر ، ثم إفريقيا الشمالية وجنوب الصحراء ثم إلى الهند وجنوب شرقى آسيا ، وقد سمح هذا المذهب وبدعته بأن يتداخل مع الديانات المختلفة فى كل مكان ،

فى الوقت الذى يسود فىه تأليه الأولياء حتى أن الناس يحجون إلى مقابرهم لأنهم قريبون إلى الله ، وبأمل الحصول على البركة . كما أن الصوفية كانت عاملاً مهماً لنشر الإسلام فى البلاد التى تبعد عن المركز العربى الفارسى ، وكثيراً ما لعبت دوراً سياسياً مهماً ، فكان العلماء والصوفية عماد الحكم عندما يتولاه غيرهم ، وقد كان تأثيرها كبيراً فى المجالين الأدبى والفنى . فقد ألهمت أكبر الشعراء العرب والفرس والأتراك والهنود ، ودخلت الرمزية التى تتصف بها إلى الموسيقى والهندسة ورسوم السجاد والحدائق ، وبهذا الأسلوب غير الرسمى أسهمت بالفعل فى تشكيل احساس المسلمين .

### المؤسسات وأساليب التعليم

المؤسسات :

الأسرة :

الأسرة فى الإسلام كما فى غيره هى المناخ الأول فى التربية ففيتها يتعلم الطفل أسس مجتمعه والتقاليد التى يجب احترامها ، والعادات واحترام الله سبحانه وتعالى واحترام الأبوين والأسلاف وقواعد الأدب .

إذا كان الطبع يولد به الطفل ، فإن التربية يمكن أن تغير من الطبيعة بشرط أن تبدأ منذ الميلاد ، وكلما كان الطفل صغيراً كلما كان ذلك إحدى مسئولية الأبوين ، وهى تقويم وتوجيه الطفل إلى الطريق السليم ، حتى إذا كان الطفل ذا طبيعة طيبة . فإنه يجب

توجيهه خشية أن ينساق إلى طريق غير سوى وفقاً لاستعداد روحه.

ويوصي الفيلسوف الفارسي ميزاكاوه Miskaweh الآباء أن يراقبوا طبائع أولادهم منذ الطفولة كي يتمكنوا من السيطرة على عيوبهم وعلى عاداتهم السيئة وإتجاهاتهم غير السوية.

وقد درس الغزالي هذا المؤلف كما درسه آخرون ، فإن الطفل مهما كانت طبيعته يجب ألا يترك لنفسه ، لأن عقله مازال ساذجا ومستعداً للتأثر بأي شئ ، ومن ثم تقوم الأسرة بتعليمه القواعد الاجتماعية بدءاً بآداب المائدة، فالسيطرة على الشهية تعلم الطفل السيطرة على بقية الشهوات .

وحتى يتجنب الكسل والخمول يجب أن يأكل قليلاً أثناء النهار ويشبع في المساء ، يأكل اللحوم والفاكهة والسكريات ، أما عن التمرينات الرياضية فستكسبه القدرة على التحمل ، كما أن النوم الكثير يضر بحيوية فكره وعقله ، إذ يجب أن ينام قليلاً أثناء الليل ، وعلى سرير جامد حتى يقوى جسمه ويتجنب التعود على الراحة، كما يجب الاهتمام بما يناسب الطفل من قراءات مع استبعاد قصص الحب ، ويجب على المربي أن يعلم الشاب الابتعاد عن المؤثرات السيئة ، وأن يحب الفضائل ، وأن يعبر بلطف عما يريد وأن يناقش بحكمة ، وأن يتجنب أصحاب السوء.

ويؤكد الغزالي في كتابه "إحياء علوم الدين" على ضرورة أن يكتسب الطفل منذ الطفولة عادات طيبة ، لأنه عندما يتقدم في

السن فإن الطباع لا يمكن تغييرها، وإن الصفات الحميدة يتم اكتسابها بالممارسة علاوة على أن الانسياق إلى الشر ليس بالشئ الطبيعي .

ولأن الإنسان يتجه إلى التقليد ، لهذا يجب أن يكون للطفل مربية فاضلة وأن يراقب خلال فترة عمره كلها ، ويتم تعويده البساطة في السلوك والملبس ، ثم تأتي دراسة القرآن الكريم ، والقصص الدينية ، ويجب تجنب الأبيات ذات المعنى الجنسي حيث إن تأثيرها ضار ، ويتم تعليمه السلوك الطيب؛ ألا يبصق على الأرض ، وأن يجلس بصورة سوية ، ألا يتكلم أولاً ، ألا يبكي عندما يضربه معلمه ، وبعد العمل لابد بالسماح له باللعب .

وهناك فروق قليلة بين الأسر فيما يخص التربية الدينية والنفسية والاجتماعية التي تطبق قواعدها على الجميع ، فمنذ الصغر كان الطفل يتعلم حب الله والرسول ، إحترام الآباء والأشخاص المسنين ، والتفريق بين الخير والشر ، والتوافق بين الكلمة والفعل ، والاخلاق الكريمة ، وحسن التصرف ، والامتناع عن الحديث أثناء الوجبات، والزيارات دون دعوة، عدم الصراخ أثناء الكلام ، واستخدام الكلمات المناسبة ، كيف يجلس ، كيف يؤدي صلواته ، كيفية تحية الناس .

#### المكتب :

وعند بلوغ الطفل سن السادسة أو السابعة ، يذهب إلى المدرسة التي تسمى مكتب أو كتاب ، وكان المكتب موجوداً قبل

الإسلام ، وبالنسبة لغالبية الأطفال المتممين إلى الفصول الشعبية ، وكان الكتاب هو المؤسسة الوحيدة التي كانوا يتلقون فيها مبادئ القراءة والكتابة والحساب وعلم اللغة، وفي العاشرة كانوا يهجرون الكتاب للعمل مع الأبوين ، وكانت الفتيات أقل حظا من الفتيان فكثيرات منهن كن لا يخرجن من المنزل حيث كانت الأم تعدهن لدور الزوجة والأم .

وفي القرن الثاني ومع تطور التعليم كان لكل قرية كتابا وأستاذا واحدا أو أكثر ، وكان المعلم في القرية يقوم بالتدريس في منزله أو في مبنى صغير بجوار المسجد وكان هذا المعلم غير حاصل على أى تكوين تربوى ، وكانت الدروس تبدأ فى السادسة أو السابعة صباحا ، وكانت تتوقف قبل صلاة الظهر حتي يأكل الأطفال وتنتهى قبل صلاة العشاء ، وكان الأطفال يجلسون على شكل دائرى حول المعلم ، وعند وجود فتيات فإنهن فى الغالب يفضلن عن الأولاد ، وكان برنامج الدراسة يتضمن دائما القرآن والقراءة والكتابة .

وهناك مشكلة شغلت التربويين هى النظام والسلوك ، وقد أكد كل من ابن سحنون وقبيس - وهما تربويان كبيران - على العقاب الجسدى ، ولكنهما يضعان شروطا لذلك ، يجب على المعلم ألا يضرب الطفل إلا لضرورة ، لا يتعدى بالضرب ثلاث ضربات الا فى حالة الكسل أو اللهو ، ولا يضرب على الرأس أو الوجه ، ألا يحرم الطفل من الطعام أو الشراب ، إلا أن ابن خلدون

فى القرن الرابع عشر يمانع فى العقاب الجسدى ، خصوصاً بالنسبة للأولاد الصغار ، لأن الضرب يؤدى إلى عادات سيئة .

#### المسجد :

بعد المكتب وقبل أن تتطور المدرسة ، يمكن للشباب الذى يريد أن يستمر فى دراسته أن يذهب إلى المسجد حيث يستطيع أن يستمع إلى معلمين مستقلين أو معينين من قبل السلطة ، ويمكنه الاشتراك فى مناقشات .

ويوجد نوعان من المساجد ، الصغيرة ( المسجد ) والكبيرة (الجامع) ، وكان الأخير مفتوحاً لكل التعليم ، بينما المسجد مقصوراً على تحفيظ القرآن والسنة والوعظ ، وكان الخليفة هو الذى يقوم باختيار أساتذة الجامع ، وكان الاستاذ وحوله عدد من معاونين ، وكانت مهمتهم الأساسية هى إعادة كلماتهم بغرض سماع الجالسين بعيداً حتى يتابعوا الدروس .

#### المدرسة :

المدرسة فى الأصل هى مؤسسة تعليمية للقانون (فقه) ، وتسمى حصة القانون (درس) وأستاذ القانون "مدرس" ولكن يمكن إيجاد علوم أخرى معاونة مثل علوم القرآن والحديث ، وعلم اللغة والأدب ..... الخ ، ويمكن تحليل الأولوية المعطاه للقانون بأن العلوم القرآنية كانت تدرس فى المساجد ، وأن القانون قد خدم فى مرحلة تاريخية معينة السنية فى محاصرة الدعاية الشيعية .

وترجع المدارس الأولى فى القرن العاشر ، ولكن نظام الملك (١٠١٨ - ١٠٩٢) هو الذى دعم وجودها فى القرن الحادى عشر ، فقد أعاد تنظيم الإدارة والجيش وأسست المدارس المخصصة لتكوين كوادر متأثرة بالأيديولوجية السنية ، وكان التجديد الذى أتى به نظام الملك هو توسيع التمويل ، مما جذب العلماء والطلبة ، وقد احتفظ لنفسه ولأولاده بإدارة المؤسسة ، وقد أسس بذلك إدارة تخدم أهدافه السياسية.

وكانت مدة الدراسة تتراوح بين خمس وعشر سنوات وفقاً للتكوين الأساسى للطالب ، وكان يحصل فى آخرها على شهادة الليسانس (الاجازة) من أستاذه الذى يسمح له بالتدريس ، وأن يصبح مفتياً ، وأن يدخل فى مجال الإدارة .

#### التكوين المهنى والتقنى :

عندما ينتهى الصبى من دراسته فى المكتب فى سن العاشرة ، فهو يسعى لتعلم مهنة أبيه ، أو مهنة أحد معارفه ، ويسجل بداية التدريب بإقامة احتفال يحضره أعضاء الجهاز حيث يتم تلاوة الفاتحة ، ولا يتقاضى الصبى أجراً عن تدريبه ويتعلم بالممارسة ، ويصبح الصبى زميلاً ثم يعلم بعد أن يجتاز امتحاناً .

وقد لمع الفن الإسلامى فى ميادين كثيرة حيث تمتع لوقت طويل بالسيطرة المطلقة على السوق خاصة فى الأقمشة القطنية



والحريرية والقطيفة المشغولة بخيوط الذهب حتى إن بعض أسمائها انتقل إلى اللغات الأوربية (موسلين - تافتاه - داماس) وكذلك السجاد والخزف فى القرن الثامن ، والزجاج الذى تعلم الأوريون تقنياته أثناء الحروب الصليبية ، والنحاس ، والحديد وهناك تخصصان إستوليا على اهتمام الحكام بسبب أهميتهما للصحة ورفاء الناس وممارسة الفروض الدينية ، وهما الطب وعلم الفلك .

### مؤسسات أخرى :

قام العلماء بالتدريس فى منازلهم خاصة المواد التى لاتدرس فى المدرسة مثل الفلسفة ، والطب والعلوم وكانوا ينظمون أيضاً فى منازلهم وفى السوق حلقات درس مع الزملاء والأتباع .

وهناك مؤسسة كبيرة ساعدت على إثراء الفكر والدراسة وهى المكتبات ، وقد أعاد الإسلام تقليد مدينة الاسكندرية ، وكانت مكتبة قرطبة فى الأندلس تحتوى على أربعمائة الف مرجع ، ومكتبة دار الحكمة فى القاهرة التى أنشأها الحكيم الفاطمى (١٠٠٥) ، وكانت تعد أغنى مكتبة فى العالم الإسلامى .

وهناك مركزان للدراسة والتعليم : الرباط ، وهو فى الأصل حصن مرتفع على الحدود حيث كان مقاتلو الإيمان يتناوبون التأمل والتدريب العسكرى من أجل الحرب المقدسة (الجهاد) ،

وفى نهاية الخلافات كان الرباط يتحول إلى مكان للدراسة والتدريس ، أما الزاوية (خانكة باللغة الفارسية) فهو دير صوفى كان الأتباع يتعلمون تحت إشراف أستاذهم ، وكانت تستقبل الفقراء والهاربين وكان التعليم لا يقتصر على تعاليم الصوفية ، بل كان يشمل عناصر من مختلف العلوم الدينية ، وكثيراً ما كانت الزاوية تضم إليها مكتباً وحتى مدرسة، ولكن أساس التربية كانت فى الحياة الروحية .

#### التعليم :

#### تصنيف التعليم :

فى الإسلام ، العلم هو أساساً دينى ، وعندما تمتد للمجال الدنيوى فهو يكون له تابعاً ، ويعد الكندى أول من صنف العلوم فى القرن التاسع ، ويأتى من بعده الفارابى وابن سينا فهما يربطان العلم الأساسى بالعلم التطبيقى (فى الفيزياء وفى علم الحساب) ، بينما يقرر إخوان الصفاء أن علم الحساب هو أساس كل العلوم لأن الهدف منه هو الارتقاء بالروح .

وقد ميز ابن خلدون نوعين من العلوم طبقاً لاكتسابها عن طريق العقل أو التقليد ؛ النوع الأول هو ما يخص العلوم الفلسفية، وهى التى يكتسبها الإنسان بصورة طبيعية بممارسة التفكير .. والنوع الثانى يتضمن العلوم التقليدية والمؤسسية ، وكل شئ فيها يرجع الى المعلومات التى تعطىها سلطة قانون دينى ما

لا وجود للعقل فيها إلا فى حالة ربط المشكلات التفصيلية بالمبادئ الأساسية .. مع اللجوء الى التفكير التشابهى ولكن هذا التفكير هو نفسه ماخوذ من المعلومة التقليدية وأسسها ثابتة ، فهو إذن تقليدية لأنه نابع من التقليد" .

إن مصدر كل العلوم التقليدية هو القرآن والسنة ، فهما يتبعان إذن فقط الإسلام ، وهذا هو جدول التصنيف الذى قدمه ابن خلدون :

(أ) : علوم تقليدية : تفسير القرآن - قراءات قرآنية - علوم السنة - قانون ومصادر القانون - علم اللاهوت - صوفية - تفسير الأحلام .

(ب) علوم عقلانية : منطق - فيزياء - ميتافيزيقا - علم الرياضيات .

ولا يذكر ابن خلدون علوم اللغة ضمن العلوم التقليدية ولا ضمن العلوم الفلسفية، ومع ذلك ففى جزء آخر يتحدث عن الأركان الاربعة للغة العربية، علم المعاجم - قواعد اللغة - النحو - دراسة الأساليب، وهم لاغنى عنهم لدراسة وفهم القرآن والسنة.

### العلوم التقليدية :

العلم الأسمى بالنسبة لكل مسلم هو العلم الذى يوصل إلى الله . كتب الغزالي أن العلم هو أن تعرف طبيعة الخسوع والعبودية . كل ما تقوله وتفعله وتتركه يجب أن يكون مستوحى

من احترام القانون " وهو يذكر أن الأفعال الطيبة تفوق العلم " علم بلا ممارسة يعتبر جنونا .. ممارسة بلا معرفة تعتبر بلا فائدة " كما قال ابن خلدون " العلوم الدينية هي الأساس لأن واجب كل مسلم أن يعرف واجباته الدينية ، فهي مستوحاة من القرآن والسنة إما بصورة مباشرة ، أو بالاجماع أو بالارتباط " .

وهناك العلوم الدينية والآداب في داخل العلوم الدينية يمكن أن تذكر: تفسير القرآن : وهو يعنى دراسة النص - القراءات القرآنية : فهناك سبعة طرق ممكنة ومعروفة لقراءة القرآن ، ولكل واحدة منهم نطق خاص - الحديث : ويدرس المشكلات التي تنشأ عندما يتعارض حديثان ولا يمكن الوفاق بينهما عندما يتم شرحهما - أصول الفقه : نظرا لأن الأهمية الخاصة بكل أصل تتغير حسب المدارس ، فيتم دراسة الخلافات بينهم - الفقه : كل الفقه الإسلامى ينبع بطريقة مباشرة من القرآن والسنة ، وهو يخص الاعتقادات وأفعال المسلم القادر شرعاً - وأخيراً الكلام .

#### **العلوم العقلانية :**

أدخل الإسلام - مثلما حدث في أوروبا في القرون الوسطى - في علم الرياضيات الجبر والموسيقى وعلم الفلك ، وأن الحساب لا يتضمن فقط المسائل الحسابية ، بل يدرس أيضا علم الموارث ، والتعاملات التجارية ، وعلم الفلك والتنجيم . ويتميز العلم العربى بالترابط الوثيق بين الفكر المجرد والتطبيق العملى ، مما سمح بتطور كبير لعلم الحساب والجبر ، واصبحت بغداد من

القرن التاسع حتى القرن الحادى عشر أكبر مركز علمى ثم اتبعتها دمشق والقاهرة ، ثم إيران .

وكان العرب حتى القرن التاسع يحسبون الأرقام بالكلمات أو بالحروف مثل اليونانيين القدماء ، ومع غزو السند ( ق ٨ م ) بدأوا يتعرفون على النظام الهندى للترقيم العشرى مع استخدام الصفر ، وقد وضع الخوارزمى أسس الجبر ، وعرف علم الهندسة اليونانية والهندية منذ بداية القرن التاسع ، وقد اهتم الكثير من الكتاب بنظرية الموازيات ، وبناء المضلعات وذلك للتمكن ، وصممت طرقاً أكثر تطوراً من البرجل والمسطرة ، وأصبح علم المثلثات علماً مستقلاً بعد وضع قوائم الجيب وخط مماس .

ويرتبط علم الهندسة بعلم البصريات ، والاسم الكبير فى هذا المجال هو ابن الهيثم ( ٩٦٥ - ١٠٣٩ ) ، ويعد علم المساحة أحد فروع علم الهندسة فالهدف منه هو القياس الضرورى لتحديد الضرائب العقارية وتحديد الملكية .

وقد تطور علم الفلك سريعاً لأنه ارتبط ارتباطاً وثيقاً بالدين لتحديد ساعات الصلاة ، وموعد صيام شهر رمضان ، وإتجاه المباني نحو الكعبة ، وكان قد تم دراسة هذا العلم أولاً على يد اليونانيين والفرس والهنود ، وبعد ذلك كان لاحتياجات التجارة الأرضية والبحرية دوراً فى تطور هذا العلم . واخيراً يجب ألا ننفل الاهتمامات الخاصة بعلم التنجيم الموجودة أيضاً فى الصين والهند وأوروبا ، لقد سمي هذا العلم بعلم " قرارات النجوم "

بحكم الاعتقاد أن موضعهم يؤثر على الأحداث في الأرض وقد شجع الحكام هذا العلم وأنشأوا المراصد المزودة بأحدث المعدات وكان أولها هو من قام بانشائه المأمون في بغداد ، ثم تضاعف عدد هذه المراصد في دمشق والقاهرة وإيران والأندلس .

وآخر العلوم في علم الرياضيات هو علم الموسيقى لابن خلدون وهو يصنفه كعلم صلات الاصوات وحسابها الرقمي وهو ما يسمح بالتعرف على الأعمال الموسيقية ، وعند إخوان الصفاء ، الموسيقى تسهم في الوصول بالروح نحو معرفة العقل وتبهره لانسجام الكون ، ولدى الصوفييين ، الرقص والموسيقى يساعدان الجانب الروحاني للوصول الى الاتحاد مع الله .

وقد عرف ابن خلدون الفيزياء بعد الفارابي وابن سينا " كعلم الأجسام في الحركة أو في السكون الذي يدرس الأجسام السماوية ، البشر ، الحيوانات ، الزرع ، وأدخل الزراعة والطب والسحر والكيمياء . والطلاسم في علم الفيزياء ، ويمكن أن نضيف - في كلمات حديثة - الجغرافيا ، التاريخ ، علم النفس ، الأرصاد الجوية ، علم النبات ، علم الحيوان ، علم المعادن ، وهي علوم اهتم بها كل العلماء المسلمين بنسب متفاوتة .

ويعتبر الرازي ( ٨٦٥ - ٩٢٣ ) أولى كيميائي ، فكتابه " سر الأسرار " يصنف الأجسام الكيميائية ، ويصف بدقة الأجهزة والعمليات مما يسمح بتصحيح النتائج والتأكد من صحتها ، وفضلا عن ذلك فقد أثرى مع ابن سينا الطب إلى حد كبير في

أوروبا حتى عصر النهضة ، ويعتبر كتابه موسوعة لكل الطب في عصره ، فقد أعطى لكل مرض مفاهيم من سبقوه ، ثم أضاف ملحوظاته " الكلينيكية " ، وعبر عن رأيه الشخصي ، أما أهمية ابن سينا فتأتى من مبدأ السببية الطبيعية أكثر من ملاحظاته واكتشافاته وبخلاف الرازى وابن سينا لا بد من ذكر اسماء ابو القاسم ( توفى عام ١٠١٣ ) وابن النفيس (توفى عام ١٢٨٨) .

وقد اهتم الكثير من الكتاب بعلم الصيدلة مثل البيرونى (علم الأدوية) وقد أدخل المسلمون علاجات جديدة بجانب ما عرفه اليونانيون ( الكافور - التمر الهندى - الرواعد .... الخ )

#### التربية :

فى الإسلام - وربما أكثر من الحضارات الاخرى - يركز التعليم على علاقة الأستاذ بالتلميذ ، ويتمتع المعلم باستقلالية كبيرة، وبما أن مفهوم المنهج كان غائبا ، فإنه كان يحدد بنفسه المادة التى يقوم بتدريسها التى غالبا ما تكون أعماله الشخصية وأعمال أساتذته .

وكما يحدث فى الكتاب فإن طلبة المدرسة كانوا يجتمعون فى نصف دائرة حول الأستاذ الذى يرتدى ثوباً أسوداً وبجواره المعيدى الذين كان دورهم يتطلب إعادة ما يقوله الأستاذ للأشخاص الجالسين بعيدا عنه ، وأن يشرح الأجزاء غير الواضحة فى الدرس ، وأن ينصحوا الطلبة ، وأفضلهم كان يحل محل أستاذه فى حال غيابه .

وفى دراسته النظامية لبغداد ، وصف بوجمرة طرق التدريس  
الآتية :

- إملاء العمل الذى يكون موضوع المحاضرة .
- التعليق وهو يعتمد على ثلاثة عناصر ( النص - آراء من سبقوه - التحليل الشخصي للأستاذ ) .
- التحليل الخاص بالكلمات الموجودة بالنص ومعانيها .
- قراءة الطالب أمام الأستاذ ، ويتعلم بقية الطلبة وهم يسمعون ويتابعون .

وفى نهاية الحصة يجيب الأستاذ على الأسئلة والمناقشة مع الحاضرين ، ويراقب المعلم سير الدروس دورياً بامتحان الطلبة .  
وعن طرق زيادة المعرفة ، فبجانب القراءة هناك الرحلات ، حيث إن حياة كثير من العلماء المسلمين تتسم بالأسفار ، وهم يطبقون حديث النبى عليه السلام . اطلبوا العلم ولو فى الصين . وقد سجلوا أسفارهم فى سيرهم الذاتية ، وقد أكد ابن خلدون على ضرورة السفر من أجل التزود بالعلم وهو يرى فى السفر مصلحة مزدوجة ، أولاً: أهمية الصلات الشخصية مع الأساتذة إذا كان هؤلاء كثيرون ومختلفون ، والفائدة الثانية هى التأقلم مع اللغات المختلفة المستخدمة .

والنقطة الضعيفة فى هذه التربية - التى تتضمن عدة أوجه إيجابية - هى الحفظ عن ظهر قلب ، والذى يبدأ منذ المدرسة



الأولية والتي تستمر في المسجد والمدرسة ، وهذا في الواقع له ما يبرره من ظروف في هذا العصر وخاصة نقص الكتب ، ولكنه له اثار سلبية على المدى البعيد لأن الطالب سيبدل جهده في تأكيد ما حفظه أكثر من تنمية قدراته الابداعية .

### التربية غير التقليدية :

الأسلوب الأكثر حيوية للتربية هي التي يتلقاها الطفل والصبي والبالغ من الحياة ذاتها ، من نشاطهم اليومي ، من الأحاديث التي يسمعونها حولهم في الجامع أو الشاعر .

### الحياة اليومية :

يتعلم الطفل داخل أسرته العادات والتقاليد بتقليده ما يرى حوله وهو يلعب وباشتراكه في المناسبات والحفلات .

وفي الخارج يجد المسلم المؤسسات والرموز التي تحدثه عن الله ، فالمسجد في كل مكان، وهو متجه إلى مكة وليس منغلقاً على نفسه مثل الكنيسة المسيحية ، ولكنه مفتوح دائماً على حوش به صنبور يسمح بالوضوء ، بينما تتكون الكنيسة بعمق حتى يتجه كل شيء الى صدر الكنيسة ، ويقع قصر الحاكم على أماكن عالية ويبدو كقلعة تسيطر على المدينة ، ولا توجد مؤسسة تسمح باشتراك الجماهير في الإدارة المحلية كما يحدث في المجتمع الأوروبي ، فالهيكل الديني والمدني يعلم الفرد طاعة الله ومثليه على الارض ، فلنذكر أيضاً المقابر التي يتردد عليها كثيراً ، بينما

لا يزورها المسيحي في المناسبات. كل شيء على الأرض سيختفي، ولن يدوم إلا وجه الله، وانتظاراً لذلك لا بد من الاستمتاع بالحياة في الحدود المسموح بها.

وتلعب الأعياد هذا الدور بجانب دورها الاجتماعي، وأهم هذه الأعياد، عيد الفطر وعيد الاضحى، تحمل الصيام والاستمتاع في المساء سويًا يساعد على تنمية الروح الجماعية لدى الإنسان.

### الحكاوى والاقاصيص :

هناك أسلوب آخر للتربية يتم عن طريق القصص والحكايات والأمثال التي يسمعها الطفل من أبويه وأجداده، ثم بعد ذلك في الشارع والمسجد، وأغلب القرى بها قاص أو راوي، يجلس في المساء وبمصاحبة آله موسيقية يحكى للناس قصص أبطال الماضي، ويحكى لهم الأساطير والحكايات وتدخلها أبيات من الشعر، وهكذا يتشبع الأطفال والكبار بالقيم الاجتماعية مثل الشرف، الوفاء بالكلمة والوعد، الشجاعة، الكرم...، وعندما ظهرت الكتابة تم تجميع هذه الحكايات في دواوين، وأول كتاب ظهر من هذا النوع هو "كليلة ودمنة" ولكن أشهر هذه الكتب هو "الف ليلة وليلة" ويتضمن قصص حب ومغامرات، وحواديت خرافية، وقصص لاذعة عن المجتمع، وهو بذلك كتاب ترفيهي وكتاب يتضمن رسالة حب وإيمان وعدد من القصص الأخلاقية.

- وهذه هي النصائح التي يوجهها أب إلى أبنه قبل وفاته :
- لا تعتمد في حياتك على أحد ، لأن الصديق يمكن أن يتحول إلى عدو إذا تغيرت الظروف .
  - عامل الناس بعدل ولا تؤذ أحداً .
  - الكلام الكثير به ضرر ، وإذا تحدثت فلا تقل إلا الصدق .
  - احذر النبيذ .
  - لا تنفق نقودك بلا حساب .



## التغيرات الاجتماعية والثقافية

إذا كان الإسلام هو دين الوحدانية الإلهية ، فهو كذلك دين تعدد المجتمعات والثقافات ، والمجتمع الإسلامى ليس مجتمعاً واحداً ، ولكن هناك شعوب وثقافات كثيرة ومختلفة استقبلت الرسالة وفسرتها تفسيراً مختلفاً ، وقد تأكدت هذه الهويات القومية منذ الأزمان الأولى بدءاً بإيران فى القرن السابع لأنها من أقدم البلاد التى فتحها العرب بتاريخها وحضارتها .

وإذا كانت اللغة العربية ، لغة القرآن الكريم ، هى التى توحد بين الجميع ، إلا أن هناك بعض الآداب التى تتطور باللغات القومية وتدخل فى التعليم الذى يتأثر أصلاً بالبيئة وبالتقاليد ، ولما شكل العلماء طبقة خاصة مميزة تباعدوا عن الشعب الذى وجد ملاذة عند الطرق والجماعات المختلفة التى تتفق ممارستها مع احتياجاتهم الدينية أكثر من الشريعة المتمسكة بالشكليات .

### إيران :

تشغل إيران فى العالم الإسلامى مكانة متميزة ، وذلك لحضارتها العريقة التى يزيد عمرها عن الألف عام ، ولم يستطع الفتح العربى لإيران فى القرن السابع أن يمحو شخصيتها بالرغم من أن دخول الشعب فى الدين الإسلامى كانت له آثار عميقة ؛ إذ إن مذهب (زرادشت) الذى كان يشكل الديانة الرسمية للبلاد إندثر وحل القرآن الكريم محل كتاب "الاوستا" ، وأصبحت اللغة العربية هى لغة الإدارة ولغة المناسك وكذلك لغة الآداب وتبنى

الايروانيون الحروف العربية والكثير من كلماتها وبعض اشكالها الشعرية ، ولكن سرعان ما تتأكد الشخصية الإيرانية ، أو بالأحرى يعيدون تأكيدها " بالشعوية" وتظهر هذه الشخصية فى مختلف الحركات المعارضة للأمويين وعلى الأخص فى حركة الشيعة ، فتخرج الثورة من خراسان وتأتى بالعباسيين الى الحكم (سنه ٧٥٠) فيشركون الإيرانيين فى إدارة البلاد .

وتسهم إيران فى الثقافة الإسلامية إسهامات كثيرة ، وفى الوقت الذى يتأثر تنظيم الدولة بالتراث الساسانى وكذلك الفنون، يشكل المترجمون وعلماء اللغة ( أمثال سيويه ) وكتاب النثر أمثال ( ابن المقفع) والشعراء أمثال ( ابي نواس) ورجال القانون أمثال ( ابي حنيفة) والعلماء أمثال ( الخوارزمى والرازى) ... يشكلون الآداب والعلوم القادمة حيث سيتبعهم الكثيرون ، ولم ننس كذلك أن أول رجل إيرانى دخل الإسلام بفضل الرسول ﷺ هو سلمان الفارسى الذى علم الرسول فن حفر الخنادق ليرد هجوم الفرسان .

وقد أخذت اللغة الفارسية مكان اللغة العربية جزئيا كلغة للإدارة ، ويعد البيرونى وابن سينا هما أول العلماء الذين كتبوا أعمالهم باللغة الفارسية .

أما الأدب الذى تطور منذ القرن العاشر فهو يتميز بسيطرة الشعر الذى يغنى بمصاحبة الموسيقى ، وقد أخذ الشعر أشكالا عديدة منها الشعر الغنائى ، والمدح والملحمة ، وشعر الزهد ،

والشعر الفلسفى ، والشعر الهجائى ... أما النثر فهو يستخدم فى قصص الحب وفى المقالات الفلسفية والدراسات السياسية ، وللكتير من الأعمال الأدبية الطابع التعليمى ، ففى إيران مثلما كان الحال فى اليونان ، يلعب الشعراء دور معلمى الشعب والنبلاء ، إذ إن الاتجاه التعليمى هو ما يظهر دائماً فى الأدب الفارسى ويميز جميع الكتاب .

### مراسم وتقاليد الأمراء :

هذا تقليد قديم جداً فى إيران ، وهو يظهر - أو يعاد ظهوره - منذ أول تحفة شعرية إيرانية ، وهى كتاب الشاهنامة الملوك الذى نذر له الفردوس كل حياته ( ٩٤٠ - ١٠٢٠ ) ، وهذه الملحمة الضخمة تحتوى على خمسين ألف دستيك Distiqua ( أى بيتان متكاملان المعنى ) يصف فيها الشاعر عظمة إيران منذ أصولها وحتى الفتح العربى ، هذه الملحمة أثرت تأثيراً كبيراً على الشعب الإيرانى الذى احتفظ بها فى ذاكرته ، لهذا فهناك بيتان من هذه الملحمة يتوجان كل الكتب المدرسية هناك "

" ومن يمتلك المعرفة ، يمتلك السلطة ، والرجل المسن يظل شاباً بمعرفته " .

يظهر الفردوس صفاته الإنسانية فى سرده للصراع الطويل الذى دام بين الإيرانيين والتورانيين ، فهو يصف بطولة وضعف الفريقين ، وعطفه يشمل آلام الجميع ، وهو يخلط الاعتبارات السياسية والاعتبارات الأخلاقية التى يوجهها للأمراء باللغة

البلهوية ، وفي شكل أدب الاسفار والأمثال .

يبدأ الكتاب بمناجاة " معلم الروح والعقل " ، يتبعها مدح العقل "أكبر معطيات الله" وإذا كان أهم ما يميز الإنسان هو حبه للمجد واهتمامه بواجب الثأر ، فالملوك يجب أن يحكموا تبعاً لمبادئ الدين ، وهكذا أعلن " اردشير " مؤسسة أسرة الساسانيين : الدين والملكية هما شقيقان، إنهما مؤسستان متشابهتان نسقهما العقل ، ولكن الملك عليه أن يراقب الأديان لأنها تؤكد التعصب والغضب .

وأول صفة للحاكم هي العدل - كما يقول الفردوس-وهو يقدم شخصية الملك "أتوشيروان" المثال الذي يجب أن يحتذى به الأمراء . أما العدل فهو لايقوم فقط على احترام القوانين .  
" والعدالة هي أن تدافع عن الوطن دون الدخول في حروب غير مجدية تقام للحصول على المجد فقط " .

وهناك فضائل أخرى مطلوبة من الملوك؛ أن يبحثوا عن المعرفة ويحترموا الكلمة ، وألا يتركوا قيادتهم للنساء ، وألا يستسلموا للكبرياء والغضب ، وأن يكونوا كرماء متبصرين صبورين ، وأخيراً أن يحيط الملك نفسه برجال قادرين يهتمون بشئون الإدارة.

وإذا كانت الشاهنامة " أى كتاب الملوك" هو أولاً ملحمة كبيرة تتداخل فيها التعاليم الاخلاقية وقصة الأحداث البطولية ،



هناك أعمال تعليمية محصنة أقدمها " قابوس تامة " التي كتبها ملك من ملوك شمال إيران (١٠٨٢ - ١٠٨٣ م) .. ولكنها موجهة لكل الناس ، ويكتب نظام الملك ، وهو أكبر الوزراء في عهد السلاجقة (١٠٩١م) كتاب "سير الملوك" حيث يبرز ثمار خبرته السياسية لتكوين الأمراء ، أما نظامى عروضي سمرقندى فسوف يخصص " أحاديثه الأربعة " (١١٥٦م) في وصف مجموعة الرجال الأربعة التي تحتاجها خدمة الأمراء : الكتبة ، الشعراء ، علماء الفلك والاطباء ، والكاتب الأمثل .

أما وظيفة الشاعر فهي أن يخلد اسم الأمير :

يجب أن يكون الشاعر صريحاً ، وأن تكون له أفكار سامية وعبقرية حقه . أن تكون له آراء قوية ونظرة ثاقبة . أن يكون ملماً بالعديد من العلوم ، وأن يكتشف الجديد في العادات المختلفة لأن العلم والشعر يخدم كل منهما الآخر .

كل هذه النصوص التي سبق أن قدمناها تبرز ايدولوجية الدولة في عرف الساسانيين وحسب مبادئ زرادشت (من حيث الصراع بين الخير والشر) المبنيه على شرعية الملكية ، وعلى إخلاص الرعية وعلى أولوية العدل ضمن واجبات الأمير ، وإذا كان العنصر الإسلامى غير خفى ، فهو بالفعل يشكل أساس هذه الأيدولوجية بالرغم من أن الجميع يعترفون بأن الله هو الذى يختار الملك ، ويعهد إليه بكل مسائل العالم .

### التصوف والحكمة العادية :

تتجة التعاليم الروحية للصوفية الى الإندماج فى الله ، ولو أنها تسمح للصوفية من أن يعطوا النصائح للأمراء حسب العرف الإيراني ، هكذا يقول الملك خسرو ، وهو شخصية من شخصيات سنائي (توفى ١١٥٠) "إننا كرماء حتى لو كان السحاب ضئيلاً ، لو لم يعط شيئاً ، فإننا نسكب أمطارنا ، ونعطى للناس الخبز فى زمن المجاعات " وكتاب فريد الدين العطار الذى أسماه " منطق الطير " يصف اسفار الطيور التى تبحث عن مليكها " السيمرغ " وهم يعبرون وديان سبعة اسمها : البحث ، ، الحب ، المعرفة ، اللامبالاه ، الوحدة ، الذهول ، الفناء ... وأخيراً تكشف الطيور الثلاثون وهي (المرغ) إنها هي ( السيمرغ ) سر الله فى ذات كل منها ، وفى كتاب "الآلهى " يقدم الشاعر الخليفة الذى لديه سبعة أولاد كلهم ملمون بالعلوم ، وهو يستمع إلى رغباتهم المادية ، ويحثهم على البحث عن الخير الذى يدوم ، وعندما يزهده المرء كل ما هو وقتى فهو يترك العقل ويهتم بالحب : " فالعقل لا يرى الا العالم الظاهرى ، أما الحب فهو لا يدرك إلا الخالق المحبوب . العقل طير ضعيف فى شباك الوهن ، أما الحب فهو عنقاء يرتفع إلى الأفكار السامية .

أما السعدى (١٢٠٩ - ١٢٩٤) فهو قريب من الصوفية ، ولكنه يختلف عنهم فى آرائه الوسطية والخاصة باللحظة الحاضرة ، وهو يرفض الزهد ويقبل الحب والثروة وكذلك السمعة

الحسنة "ويفضل الكذب المفيد على الحقيقة التي تولد الاضطرابات" ويقوم أسلوبه على عرض الأفكار بواسطة حكايات مليئة بالحكم والأمثال في جمل بسيطة وجميلة . وهو يفضل الشدة على التسامح مع الأطفال ، لذلك يجب اختيار المعلم بدقة لأن أخلاق الطفل تعتمد على هذا الاختيار ..

ويعد حافظ (١٣٢٠ - ١٣٨٩م) أحد أكبر ثلاث شعراء في إيران ، وهذا الاسم الذي اشتهر به ليس إلا لقبا حصل عليه لأنه حفظ القرآن عن ظهر قلب ، وهو يشارك بعض شعراء العالم الآخرين شرف تشكيل ضمير شعبه ، والقليل جداً من الإيرانيين لا يعرف البعض من أشعاره ، وعندما يتساءلون عن المشاكل وعن الحب فهم يفتحون دواوينه ويقرأون رد حافظ عليهم .

#### **مذهب الشيعة ، مذهب الدولة الرسمي :**

يعتبر وصول الصفويين إلى الحكم (١٥٠١ - ١٧٢٢) تاريخاً مهماً في تاريخ إيران إذ تتم للبلاد الوحدة تحت سيطرة أسرة إيرانية قومية لأول مرة بعد ثمانية قرون ونصف من السيطرة الأجنبية . ويعتقد الصفويون مذهب الشرعية الملكية القديم الذي يعتمد علي الهالة الإلهية Khwamah والتي يلزمها المفهوم الإسلامي للحكم " ظل الله في الأرض " وكذلك على الرئيس الروحي للمذهب الصفوي . هكذا أسست شجرة تربط أهل البيت بالإمام الشيعي السابع موسى الكاظم وعن طريقة يرجع إلى الإمام علي نفسه الذي يعتبره كل أهل الشيعة الوريث الحقيقي لسيدنا

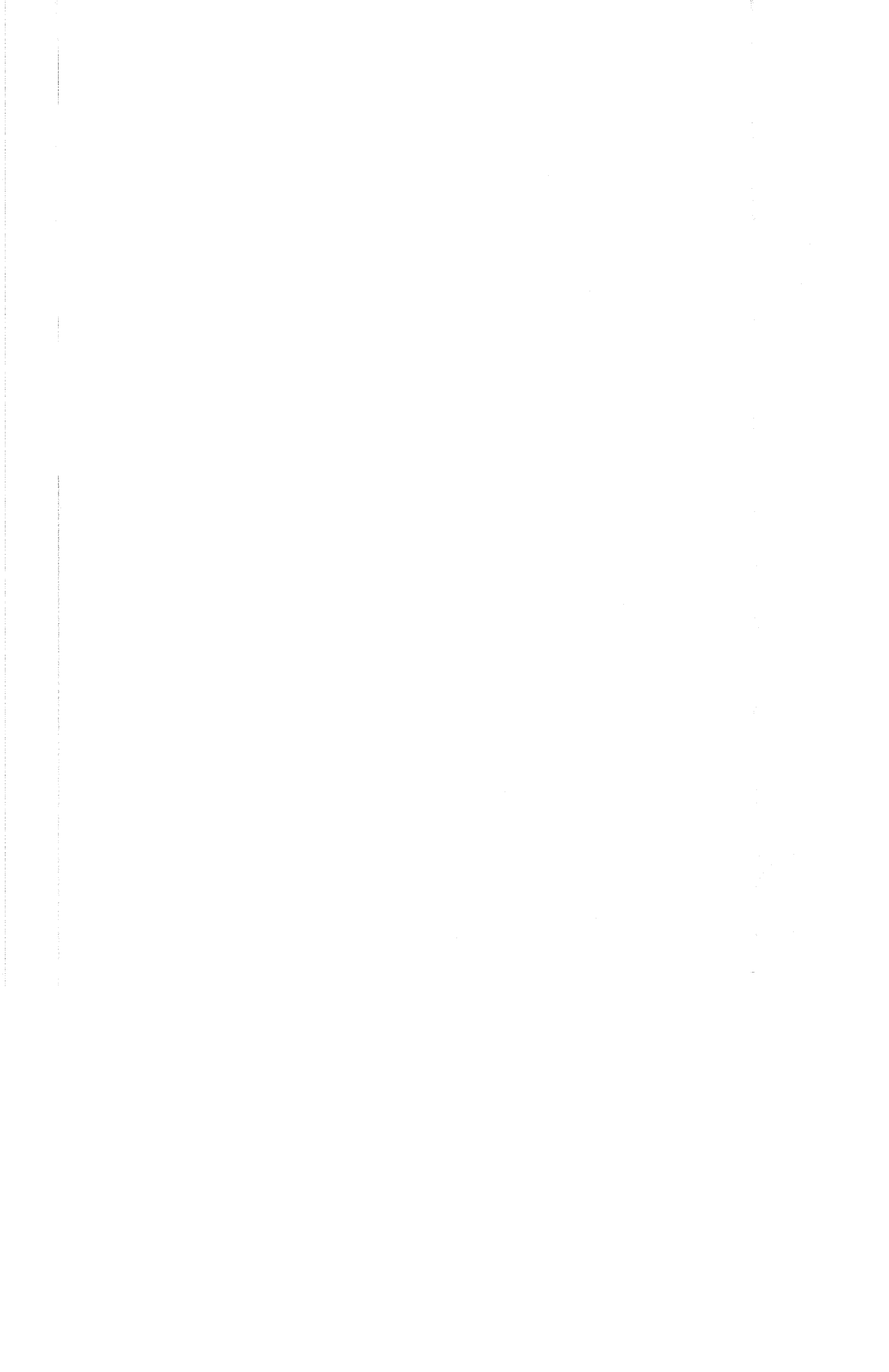
محمد ﷺ .

وقد ساعد عامل آخر وآخر في وحدة الإيرانيين في ظل المذهب الشيعي هو التقليد الذي يشير إلى أن الحسين قد تزوج من ابنة آخر الملوك الساسانيين ، وبهذه الزيجة أصبح ورثة أهل البيت هم ورثة الملكية القومية ، وإذا كان هذا التفسير الخفي ، وكذلك اختفاء الأئمة الواحد تلو الآخر واحتجاب الإمام الأخير وعودته المنتظرة ... كل ذلك منح المذهب الشيعي طابع الغموض والآلام حيث أن الضمير الشعبي يضاعفة بالذكرى الساخنة كل عام لمأساه كربلاء (٦٨٠م) حيث مات الحسين رضي الله عنه بسهام الأمويين ، ولم ينج من كل أهله إلا ابنته فقط .

وقد صاحب هذا التطور تطور الهيئات الدينية والقضائية بإعلانه مبدأ الشيعة مبدأ رسميا ، أراد اسماعيل إنشاء دولة دينية على رأسها حاكم يستمد قوته من الإمام المستور الذي يرمز اليه . وبالتالي من الرسول ﷺ نفسه ، لذلك فالكل يجب أن يطيعه طاعة عمياء ، وأى تمرد أو عصيان يصبح خيانة ، وخطيئة ومعصية .

وقد أقام الصفويون المدارس في كل مكان ، وعلى الأخص في عهد الشاه عباس الذي دام طويلا وعرف بالرخاء الكبير (١٥٨٨ - ١٦٢٩) وكانت إحدى مميزات المدرسة الإيرانية هي أنها تقوم بتدريس العلوم والفلسفة ، لذلك ازدهرت هذه العلوم وبالأخص الفلسفة التي وصلت إلى أعلى درجة مع الملا صدر الشيرازي (١٥٧٢ - ١٦٤٠)

أما التدرج في الوظائف الدينية فيبدأ بالملا في القرية حتى المجتهد في أكبر المراكز في النجف وقم ومشهد ، ويدير الملا المدرسة حيث يحفظ الأطفال سور القرآن الكريم وبعض الواجبات الدينية وبعض القصائد للسعدي والرومي وحافظ ، وقد درس بعض السنوات في إحدى المدارس دون أن ينهي دراسته ، وهذه الدراسات تنقسم إلى ثلاث درجات : الأولى تقتصر على بعض العناصر النحوية ، الأدب ، والمنطق ، الرياضيات ، علم الفلك ، الفقه . أما المرحلة الثانية فهي خاصة بالقانون مبادئ الصوفية ، التاريخ ، الأخلاق ، وهاتان المرحلتان تحتاجان لعشرة سنوات . أما المرحلة الثالثة فهي عبارة عن فرصة للتعمق أساساً في القانون وأساسه وفي المجادلة والمناقشة ، وتنتهي هذه المرحلة بمناقشة رسالة وبالحصول على الاجازة التي يعترف للحاصل عليها بإمكانه التدريب على الاجتهاد ، ولم يحصل حتى منتصف القرن التاسع عشر إلا حوالي ثلاث أو أربع على لقب المجتهد ، ثم في أوائل القرن العشرين حصل عليه المئات حتى أصبحت الحاجة إلى تمييز ثلاث درجات من المجتهدين ، " حجة الإسلام " آية الله " ، " آية الله العظمى " الممثل الأكبر الذي يحتذى به المؤمنون ، وسيلعب بعض المجتهدين مع بعض المفكرين الدينيين دوراً مهماً في حركة الإصلاح التي ستؤدي إلى الثورة الدستورية ( ١٩٠٦ - ١٩٠٩ ) .



## التربية والحضارات

### المغرب :

ترتبط العلوم والتعليم بالثقافة المدنية ( العمران ) ، وبهذا يفسر ابن خلدون الفرق بين الغرب والشرق الاسلامى ، فالأول استمر قريباً من حياة البدو بمعنى بدائى ، ومن ثم فقد احتفظ المغرب بطابع بدوى مما أدى إلى وضعه الثقافى المتواضع ، إن التدهور السياسى وعدم وجود وفرة من السكان فى المدن قد ضاعف من سوء الموقف حيث أدى ذلك إلى انحدار العلوم والفنون .

### بربر وعرب ونشر الدعوة الإسلامية :

إن شمال افريقيا إلى الغرب من صحراء ليبيا يعد بالنسبة للعرب (شبه جزيرة الغروب) المغرب ، وهى منذ العصر القديم مسكونه بالبربر المنقسمين إلى قبائل زراعية أو رعوية ، وهذه القبائل لم تعرف أبداً الوحدة التامة ، ولكنها كانت تشترك فى ثقافة واحدة تتميز باللغة وبأهمية الإنتماء للقبيلة وتكوين الجماعة .

وقد وصل العرب فى القرن السابع وأسس عقبة القيروان عام ٦٧٠م ، وكان التعريب والتحول للإسلام يتم تدريجياً وبيطء عن طريق التجارة وإقامة المدن ، وفى القرن التاسع لم يكن فى افريقية سوى مائة ألف مهاجر عربى أساساً فى الجيش وفى المدن . ومن الطبيعى أن المناطق الغربية لم يكن بها مثل هذا العدد ، وقد قاوم

البربر بشدة مثل ما فعلوا فى الغزوات الى تدعوا للمساواه مثل الخوارج والشيعة وكذلك باستقبال المعارضين من أمثال إدريس من سلالة على ، وهو شيعى من المعتزلة (سيقوم ابنه بتأسيس فاس عام ٨٠٨م) ، وفيما بعد الفاطميين ، وقد ظهرت للحياة كثير من الإمارات البربرية ، وهى عبارة عن مدن لها صفة الدول وتقع على طول الطريق التجارى ، إذن فإن انتشار الإسلام سيتم بواسطة البربر أكثر من العرب ، وكذلك الحال بالنسبة لتاريخ المغرب .

وقد نجحت ضغوطهم فى الحصول من الخليفة على الحكم الذاتى للأغالبة فى افريقية ، وستصل القيروان الى ذروتها تحت حكم هذه الأسرة (٨٠٠ - ٩٠٩م) حيث إنهم نظموا الدولة على النمط العباسى ، وقد اغتنت القيروان بفضل التجارة ، ونالت شهرة واسعة لمدارس الحقوق والطب الموجودة بها والتي أثرت على ايطاليا وأوربا .

وقد قام الفاطميون بغزو مصر واستقروا بها عام ٩٢٧ تاركين افريقية لقائدها البربرى "زيرى" وعندما استقلوا فعليا اقام "الزيريدون" بقطع علاقتهم بالقاهرة استرضاءً للشعب الذى كان سنياً فى أغلبية، كما اعترفوا بسيادة بغداد (١٠٤٩م)، وقد انتقم الفاطميون بدفع الهلالية وهم من البدو الرحل للهجوم على البلاد.

وأدى الغزو الذى تبعه مد مستمر من البدو ولمدة ثلاثة قرون، أدى ذلك الى تخريب المدن ومنتشآت المياه وانتشار الاقتصاد الرعوى على حساب الزراعة ، غير أن التعريب تقدم بفضل



الاندماج عن طريق الزواج، حيث إن حضارة البدو لم تكن كثيرة الاختلاف عن حضارة البربر.

ويسجل التاريخ ازدهار واضمحلال الامبراطوريتين "المرابطين" (١٠٦٣ - ١١٤٧ م) والموحدين (١١٤٧ - ١١٦٩ م)، والإثنان من أصل بربري، ونشأتا من حركة إصلاح ديني، ورغم ذلك لم يفح الموحدون مثلهم مثل المرابطين في الوصول الى الوحدة الروحية للبلد، فقد اصطدم مذهبهم بالعلماء المالكيين كما اصطدم بالصوفية، ومن خلال هذه الممارسات استطاع الإسلام أن ينتشر تحت حكم هذين العهدين، كما أن التعريب استطاع هو أيضا أن يمتد بفضل تبني نموذج الحضارة العباسية.

وقد أدى انتشار التعليم في الريف المغربي بفضل "الزاوية" إلى ظهور دورها الكبير ليس فقط في المد الإسلامي ولكن أيضا في تنويع الكتابة وتبعاتها العملية خاصة في مجال التعليم والقانون.

#### ديانة صارمة وانحدار فكري :

انقسم المغرب إلى ثلاثة دول بعد "الموحدين" في الشرق افريقية ويحكمها الحفصيين (١٢٤٧ - ١٥٧٤) ويختارون تونس عاصمة لهم ويصبح مسجد الزيتونة منارة ثقافية بدلا من القيروان، وفي الوسط مملكة تلمسان، وفي الغرب المغرب ويحكمها المدنيون (١٢٦٩ - ١٤٧٢) وبعد سقوط المرابطين أصبحت الممالك لا تنادي بأيدولوجية إصلاح ديني ولكنها كانت ببساطة

تحاول تنظيم إدارتها التي سيكون لها وظيفة مزدوجة جاءها من الشرق وهو " المدرسة " التي سيكون لها وظيفة مزدوجة وهي : تلقين العقيدة الأساسية أى المذهب المالكي ، وتكوين كوادرنظام ، وتتميز مدرسة المغرب عن المدرسة الشرقية نظرا لأن مؤسسيها هم الأمراء مما يوضح الدور الرسمي الذي تطلع به .

وأخذ الحكام يشجعون التعليم بحضورهم للدروس وباستضافة العلماء فى قصورهم للمناقشات ، وكان العلماء فى مجموعهم يمثلون طبقة وظيفية لأن مصالحهم أصبحت مرتبطة بمصالح الذى كان يعينهم فى المصالح العامة .

ويمكن أن نعزو حالة الضمور ذهنى الذى أصاب المغرب منذ القرن الخامس عشر إلى هذا الوضع عندما شكل العلماء طبقة اجتماعية متميزة فقدوا قدرتهم على الحركة ، ولذلك نجد التقليد ينتصر خوفا من التجديد وعلى الاجتهاد وروح النقد .

وفى دراسة القرآن الكريم لم تعد التفاسير تعتمد على الشروح المجازية ، فهم يتمسكون بالتفسير الحرفى الضيق أو الصوفى ، ثم رويداً رويداً يتعدون عن تفسيرات القرآن خوفاً من الوقوع فى خطأ فادح بالنسبة لكلمات الله ، ولذلك نجدهم يجتهدون فى البحث عن المعانى الصوفية لألفاظ القرآن وأسماء الله الحسنى ، حيث وجدت كثير من المؤلفات تتناول هذه الموضوعات كذلك القيمة السحرية للحروف الابجدية .

وإخيراً فإن التطور العالمى قد أثقل على النشاط الذهنى ففى خلال القرن الحادى عشر اشتدت حركة عودة المسيحية الى اسبانيا فى عام ١٤٩٢ ، ومنذ عام ١٤١٥ احتل البرتغاليون سوتا وهى نهاية طريق القوافل التى تحمل ذهب السودان الى البحر المتوسط وهى أيضاً بداية لمغامراتهم البحرية التى وصلت رأس الرجاء الصالح فى عام ١٤٩٧ ، وفى عام ١٥٠٦ استولوا على هرمز... وكان ضياع طرق التجارة وخاصة الغزو الأجنبى سبباً فى ميلاد رد فعل دفاعى، الذى ترجم بمحاكاة ماض مقدس، ورفض كل تجديد، وفى نفس الوقت نلاحظ أن الخطر المسيحى ينمى الشعور الدينى، وفى القرن الثامن عشر وصلت الوهابية إلى المغرب، وهى حركة الإصلاح الدينى التى قامت فى الجزيرة العربية بغية إعادة الإسلام إلى طهارته الأولى.

#### أفريقيا السوداء :

يطلق العرب على افريقيا الواقعة جنوب الصحراء «بلاد السود» بالمقابلة مع «بلاد البيض» أى شمال أفريقيا، وقد دخل الإسلام مبكراً إلى هذه المنطقة، وكانت الوسيلة الكبرى لنشر الإسلام هى التجارة .

#### إسلام الأمراء :

كان الإسلام أداة للحكم بالنسبة للأمراء، ولم يكن دافعاً

للوحدة القومية، ولا محرراً للتوحيد السياسى والقانونى، ففى الواقع استمرت الشعوب مؤمنة بدينها، ولم يفرض عليهم رؤساؤهم التحول إلى الاسلام، وأن ملك غانا كان مسلماً، ولكن بجوار المسجد كانت الوثنية وعبادة التماثم مستمرة، وقد اندهش ابن بطوطة، و«ليون» الأفريقى فيما بعد من عرى الفتىات العلنى، والأول يمدح الأمن المثللى فى البلد حىث ىنذر الظلم، فى حىن ىشتكى الثانى من أن شعب جاو جاهل وغلظى وىندر فىه المتعلمون، وإذا كان الأمراء قد اعتنقوا الإسلام ذلك لأن إله الإسلام ىبدو لهم أكثر قوة من الذات العليا غير المحددة المعالم التى ىدین بها غالبية الأفارقة، وقد حاولوا التوفىق بین الإیمان الجدید والممارسات التقلیدية خاصة ما هو خاص بالسحر، لأن ذلك كان ىحفظ لهم نفوذهم، وحتى إذا كان الله غیب فإن له شفعاء ىمكن بواسطتهم الحصول على برکاته.

غیر أن الإسلام لم یکن یمثل فقط نظام دینى مخلوط بالسحر کفیل بتقوية نفوذ الحکام، فإنه کان یمدهم بأسس موضوعية لإدارتهم بفضل القانون الخاص به وىکتابه ومبادئه وتشریعاته القانونية، ومدارسه والعاملین فى مجاله والعلماء، وقد جلب الملوك العلماء من مصر ومن الجزیره العربیة ومن المغرب لیشغلوا مناصب المستشارین والقضاة والأساتذة، وفى ذات الوقت كانوا یقومون بإنشاء المساجد والمدارس، والمکتبة تعد بكل تأکید وسیلة للحکم أكثر استمرارية وأكثر عالمية من الكلمة.

وهناك عامل أخير أدى إلى اعتناق الأمراء للإسلام هو أن الإسلام أتاح لهم فرصة الانضمام إلى الأمة الإسلامية مما يساعد سياستهم الخارجية.

### الجهاد ونشر الإسلام بين الشعوب :

بدءاً من القرن الثامن عشر ستدخل أفريقيا في حركة اصلاح والتي ستقوم باسم إسلام نقى ومتشدد إلى حرب مقدسة (الجهاد) ضد الممالك الوثنية وضد الحكام المسلمين السيئين، كما سيؤدى إلى إقامة دول عقائدية.

إن الجهاد وما استتبعه من إقامة دول عقائدية فى القرن التاسع عشر فتح الباب إلى موجة ثانية من انتشار الإسلام، وهذه الموجه ستكون أكبر وأعمق من الموجه الأولى، إن هذه الحروب دمرت جزءاً كبيراً من الطبقات الحاكمة السابقة التى لم تعتنق الإسلام، وكذلك أنظمة قبلية وعبادات محلية، حيث أوجدوا مكانها إسلاماً أكثر تشدداً عن ذى قبل.

إن الإعتقاد بالأسلاف استمر وكذلك ممارسات التنجيم والسحر، وإذا كان نظام الإنتساب إلى الأم لم يستبدل كلية بنظام الإنتساب للأب، فإنه يلاحظ تعاظم دور الأب، كما أن القواعد الإسلامية الخاصة بالزواج والطلاق والإرث بدأت تطبق.

وإذا لم تكن اللغة العربية هى لغة التعامل الدارج فإنها

ساعدت الأفارقة على استخدام حروفها لكتابة لغاتهم، كما أنها أثرت مفرداتهم بمئات الألفاظ والتعبيرات الدينية والسياسية والتجارية والفلسفية، وأخيراً وعلى المستوى الاجتماعى والسياسى فإن الإسلام كان عاملاً فى آن واحد للإختلاف والمساواة. إن «البول» الذين قاموا بالجهاد خاصة فى نيجيريا والكاميرون قد اكتسبوا نوعاً من الاستعلاء بالنسبة للأجناس الأخرى التى تحيط بهم والذين لم يحاولوا نشر الإسلام بينهم، غير أن هذا الموقف قد أدى إلى وجود رد فعل، فقد اعتنقوا الإسلام بمفردهم وطالبوا بالمساواة كما جاء فى الإسلام، وهذا ما يفسر تعاطفهم مع نداءات المهدية، إن الإسلام لم يستطع أن يحطم نظام الطبقات أو العبودية فى أى مكان.

وتعد التربية هى الوسيلة الأساسية للإلتواء فى المجتمع الإسلامى فالمعلم يقوم بتعليم القراءة والكتابة للقرآن للأولاد على المستوى الأولى، ومن جهة أخرى يقوم بتعليم قواعد الدين الأساسية، ونادراً ما كان التلاميذ يتعدون هذه المرحلة لأنه إذا كان تفسير القرآن والأحاديث والفقه وغيرها تتم باللغة المحلية، فإنه كان من الضرورى أن يتمكنوا من اللغة العربية حتى يصلوا إلى الفهم التام، وحالة رغبة الشباب فى الاستمرار فى دراسته العليا يجب عليه التوجه إلى جامعات فاس، تونس، القاهرة، المدينة أو مكة.

### الإمبراطورية العثمانية :

كلمة «تركي» تمثل مجموعة الشعوب الرحالة القادمة من الطاي والتي تتحدث هذه اللغة القريبة من اللغة المغولية، وقد ظهر الأتراك لأول مرة في القرن الثالث قبل الميلاد تحت اسم «كسيوجنو» وأول وثيقة باللغة التركية ترجع إلى القرن الثامن، وقد اعتنقت بعض الشعوب الزندقة والبعض البوذية والبعض المذهب النسطوري. والبعض الإسلام وتبنوا الكتابة العربية.

وفي القرن العاشر ظهرت في أفغانستان أسرة الخازنين: محمود ٩٩٩-١٠٢٥ قام بغزو امبراطورية شاسعة تمتد من إيران إلى البنجاب غير أن خليفته هزم من السلاجقة ، وكان السلاجقة يحتلون خراسان، خوارزم، إيران والعراق. وعند دخولهم بغداد (١٠٥٥) فرضوا أنفسهم على الخليفة واستطاعوا أن يحصلوا منه على لقب السلطان. وجعلوا من أنفسهم المدافعين عن السنة ضد الفاطميين في مصر وسوريا، واستمرت الحركة تجاه الغرب على حساب بيزنطة (بلاد الروم)، وتأسست إمارة في الأناضول عاصمتها «قونيا» والتي ستدوم حتى بداية القرن الرابع عشر، ومنذ نهاية القرن الثاني عشر يطلق عليها المؤرخون الأوربيون اسم «تركي».

في القرن الثالث عشر وقعت كل آسيا الغربية تحت وطأة الغزو المغولي. وانقسمت الامبراطورية السلجوقية إلى إمارات متنافسة، وقد أكدت إحداها تفوقها شيئاً فشيئاً وهم العثماني أو

العثمانيون تبعاً لاسم أول زعيم لهم عثمان، وقد غزوا تدريجياً كل الأناضول والبلقان والقسطنطينية (١٤٥٣). وسوريا ومصر وجزء من الجزيرة العربية والعراق والمغرب، ومن ثم ستصبح أكبر قوة في المتوسط لمدة قرنين من الزمان وستستمر حتى القرن العشرين.

### الدولة والمجتمع :

ورث العثمانيون الثقافة العربية الفارسية على الصعيد السياسي، وقد أعادوا تفسيره تبعاً لعاداتهم التركية، ونجد المفهوم الساساني للملكية المرتكزة على العدل في هذه التوصية من الدرويش ساري سالتوك لمؤسس الأسرة العثمانية.

«كن عادلاً ومنصفاً، لاستشير نقمة الفقراء، لا تنسِ معاملة الرعايا، راقب القضاة والحكام، تصرف بعدل حتى تحتفظ بالحكم وبطاعة رعاياك»

والسلطان ليس طاغية بل يخضع لقوانين الدين، ويعترف بالحقوق المعتادة للشعوب المكونة للإمبراطورية، وبجانب الشريعة فهو يصدر قوانين وقواعد يعترف بها الفقهاء على أنها شرعية حينما لا تتعارض مع الشريعة.

وينقسم المجتمع إلى طبقتين؛ المحكومين والحاكمين، وينضم إليهم البيروقراطيين والعلماء، وستنصهر هاتان الفئتان



تدريجياً ، وينضم إليهم عائلاتهم وعبيدهم، والجزء الاجتماعي الثاني كان يطلق عليه الرعايا (القطيع). وكان الحكم يشبه بالراعى الذى يقودهم، وهى طبقة ينتسب إليها المنتجون من فلاحين وتجار وحرفيين، والنشاط الذى يقومون به يدعم وجود الطبقة الأولى، وهناك فروق واضحة بينهما ليس فقط من ناحية المسكن والملبس، ولكن الفروق تشمل أيضاً الضرائب والعدل.

### تكوين الكوادر :

يعتمد الحكم أساساً على عنصرين؛ الجيش والعلماء، وهو يهتم بتكوينهم اهتماماً كبيراً فى حين أن البيروقراطية كانت تمارس التعليم على أرض الواقع، وكان الشباب الذى يندرج فى سلك الوظائف عموماً عن طريق المعارف يتعلمون من زملائهم الأكبر سناً، أما التعليم على مستواه التقنى فكان يتم بصورة متوازنة مع التعليم العام الذى كان يحضره الموظفون فى المسجد بعد الظهر.

وبدأ العثمانيون بإحضار العلماء من العراق وإيران للدفاع عن السنية وكانت المساجد الكبرى فى اسطنبول وعواصم المقاطعات تضم المدارس التى تضم الأربع مذاهب ، وتضم كذلك المستشفيات التى تقوم بتعليم الطب، ويتخرج العلماء من هذه المدارس.

وتعتبر مدرسة القصر من أعظم انجازات العثمانيين، وقد أسسها محمد الثانى بعد الاستيلاء على القسطنطينية (١٤٥٣)، وسوف تمتد النظام ولمدة قرنين من الزمان بأعلى الكوادر. وهى بنظام «عبيد إلى تجميع الشباب المسيحي الذى تحول إلى الإسلام وتعلم على الباب» (غلام) وبوجه الخصوص الطريقة التركية تبعاً للقواعد الصارمة واللذين سيتولون فى القصر المناصب الإدارية. أو فى الجيش سيكونون الخدام الأكثر ولاء للسلطان، وهذا النظام يطلق عليه الدفشيوم، متصل بنظام آخر أوجده العثمانيون وهو نظام الإنكشارية الذى ظل يغذيه من أواخر القرن الرابع عشر، فبعد تجميع الشباب من سن ١٠ - ١٤ سنة فى اسطنبول تقام أول عملية فرز تبعاً لمعايير الاستعداد الجسماني والذهني، ويؤخذ منهم نسبة ١٠٪ للقصر، أما البقية فتوزع على عائلات فى الأناضول الذين يقومون بتشغيلهم وفى ذات الوقت يعلموهم اللغة، الدين، العادات التركية، وعندما يشتد عودهم يقومون بالتدريب العسكرى اللازم قبل أن يلتحقوا بفرق الإنكشارية، أما الأقلية المختارة للقصر تحت إشراف الأغوات وتوجيه أفضل الأساتذة ليحصلوا على تربية ممتازة لعلها أفضل تربية فى العالم الإسلامى، وهذه التربية تؤهلهم للمناصب العليا المدنية والعسكرية، وكذلك الطاعة والولاء للملك. وبعد أربع سنوات تقام عملية تصفية أخرى يذهب بعدها الأكثر جدارة إلى الخدمة المباشرة للسلطان فى إحدى الأقسام الثلاثة الآتية : الخزنة - المطابخ أو غرفة الحملات -

الصفوة وعددهم حوالى (٤٠) حاجباً يلحقون بالغرفة الخاصة بالسلطان وعلى رأسهم الشخص الأكبر قرباً من الحكم، أما الآخرون الذين ينتمون لمستويات مختلفة فيذهبون ليعملوا فى الخارج إما فى الجيش، وإما فى الإدارة المركزية أو الإقليمية، والآخرون يصلون مباشرة إلى أعلى الدرجات، ففي عام (١٤٥٣) كان محمد على باشا أول عبد يصل إلى منصب كبير الوزراء فى عام ١٥٢٢، ورقى سليمان رئيس غرفته إلى منصب رئيس الوزراء، حتى القرن الثامن عشر كان هذا المنصب يشغله دون استثناء الغلمان.

### المحافظة الفكرية والضغط الاجتماعى :

رغم الواجهة البراقة فإن بذور الانحدار لن تلبث أن تنمو عندما تبع السلاطين ذوى الهمة أمراء متواضعين للغاية، ونجد أن الحكم يتدهور ، وتزداد الصعوبات الاقتصادية والضغط الخارجية.

على الصعيد الفكرى نجد أن أهم عامل للركود هو الإبقاء على العلماء كطبقة وراثية، بالإضافة إلى القاعدة التى تسمح بنقل الإمتيازات من الأب إلى الابن لدرجة أن أبناء الذين يتولون المراكز العليا ليسوا فى حاجة إلى الدراسة ، لأن الطريق ممهد أمامهم ليصبحوا مرشحين لوظيفة عامة منذ المهد وأساتذة عندما يبدأون الكلام، وجدير بالذكر أن العلماء يتمتعون أيضاً بامتيازات

اقتصادية ومالية، ومثل هذه الظروف التي ستدوم حتى القرن التاسع عشر لا تشجع نوعية التعليم ولا التجديد الفكرى، ورغم أن الأتراك قد استفادوا من الأوربيين استعمال المدافع والبنادق، ولكنهم لم ينقلوا استعمال الطباعة والساعات لأن الدين لم يسمح بذلك خوفاً من أن طباعة الكتب المقدسة لا تعد الكتاب، وخوفاً من أن الساعات العامة تقلل من شأنه وزرائهم. على حد قول سفير فردينا ندوى هايسبور بوسبك فى تركيا عام (١٥٥٥) وقد حصل شيخ الإسلام على الموافقة بهدم أول مرصد عثمانى بعد بنائه عام ١٥٧٧م، ودافعه فى ذلك أنه لا يجب علينا التطلع إلى أسرار الله، وفى نفس العصر حكم على ثلاثة علماء بالاعدام لانهمهم بالتححرر الفكرى. أما بالنسبة للأطباء فإن مستواهم كان متردياً لدرجة أن السلطان قرر امتحان على مستوى الدولة لممارسة الطب عام ١٥٧٤.

وكان من الضرورى من الناحية العسكرية وضع التقدم التقنى فى أوربا محل اعتبار، وكان العثمانيون قد نقلوا استعمال المدافع والبنادق منذ منتصف القرن (١٥)، وفى القرن (١٦) استخدمت الكتابات الجغرافية، وفى القرن (١٧) المقالات الطبية، غير أنه فى الثلث الأخير من القرن (١٨) عندما وجدت الإصلاحات فى التنظيم والتعليم العسكرى بمساعدة مهندسين أوربيين اعترض العلماء الذين اعتبروا ذلك انحطاطاً للنظام الدينى والاجتماعى.

## الهند :

إن الهنود الذين اعتنقوا الإسلام بالقوة أو بإرادتهم لكي يتخلصوا من الجزية أو ليتحرروا من طبقتهم الاجتماعية أو للوصول إلى مناصب عليا لم يكن عددهم كبيراً إلا في شمال الهند، ورغم كره الإسلام الشديد للوثنية والشرك فإنه اضطر إلى أن يعتاد عليها، غير أن هذا التعايش على المدى الطويل أدى إلى تداخل في الأفكار والممارسات. فرغم مبدأ المساواة الإسلامي، نمت المسلمون نوعاً من الطبقة لأنفسهم، ففي القمة العائلة المالكة وكبار القوم ومن بينهم الأسياد (سلالة النبي)، ويأتي بعد ذلك الموظفون والضباط ورجال الدين.

## علماء وصوفية هندوس :

عندما استقر المسلمون أنشأوا مدارس لنشر التربية الإسلامية وتكوين كوادر الإدارة، وكان العلماء يدافعون عن السلطة التي كانت تعطيتهم المناصب والدخول بواسطة نظام المنشآت. وإذا كان العلماء لهم تأثير على البلاط فإنهم كانوا مبتعدين عن الشعب الذي استمر يدين بالهندوسية.

ولعب الصوفية دوراً في مد الجسور بين الديانتين بفضل التقارب الروحاني بينهما، وانضمت الأغلبية إلى مذهب ابن عربي الذي يؤمن بوحدة الذات والذي يرى الله كأنه الذات بنفسها وذات كل الأشياء.

وعندما يتحول الهندوس إلى الإسلام فى شكله الصوفى لا يبتعد عن ممارساته التقليدية عندما يتغنى بأناشيد الولاء للألوهيه ويذهب للحج على قبر قديس، وهذه السمات المشتركة تولد اتجاهات أبرزها اتجاه «الشيخ»، ويحتذى الشيخ نموذج النشاط كبير الذى أعلن نفسه «ابن الله» يرفض الشرك والنظام الطبقي ويدعو للإله الواحد الذى يسمح عفوه بأن لا تعود للحياة مرة أخرى، وتهمل العبادات والزهد لحساب تطبيق العدل والنشاطات لصالح المجتمع. ويؤسس مذهب يعطيه شكل تنظيم الجماعات الصوفية، ويرتكز على الطاعة التامة من قبل التلاميذ تجاه المعلم الروحي.

ويعد أكبر ١٦٠٥-١٥٥٦ أكبر ملك على الهند المسلمة ليس بفضل غزواته، ولكن بفضل ذكائه السياسى، وبغية توسيع الأسس الإجتماعية لحكمه أراد أن يوفق بين الإسلام والهندوسية على الصعيد السياسى، وجذب «البراهمة»، والكشترية» فى إدارته، وفى «فاتبور» عاصمته أقام لفترة قاعة «خانة العبادات» حيث كان يجمع ممثلين من كل الديانات والاتجاهات لكي يستمع إلى مناقشاتهم، وطبقاً لأقوال أحد مؤرخى بلاطة أن «أكبر» استنتج أن الحقيقة موجودة فى كل مكان، ولا يمكن قصرها على دين واحد، وأخيراً اخترع ديناً واحداً يجمع الأديان جميعاً مما أثار اعتراض العلماء، ولم يدم بعده طويلاً.

وقد حاول أكبر أن يصلح التعليم الأساسي - وكان نظام التعليم في الهند مثل النظم الموجودة في البلاد الإسلامية - حيث يوجد المكتب والمدرسة وتلحق أساساً بالجامع، وكانت اللغة الرسمية هي اللغة الفارسية، وكان أول من أجلس مسلمين وهندوس جنباً إلى جنب في المدارس، وعندما تعاظمت الصلات بين الثقافتين تكونت لغة جديدة هي «الأوردو» ومفردات هذه اللغة تشتق من الفارسية والعربية والتركية.

وفي المدارس الهندوسية كانت الكتابة تدرس قبل القراءة في حين أن المسلمين كانوا يفعلون العكس، وكان المعلم يهتم بخمسة أشياء: معرفة الحروف، معنى الكلمات، كتابة المقطع أو البيت. تذكرة الدرس الماضي، وكان أكبر يوصي بدراسات مفيدة بدلاً من التلقين من الكتب، وقد جاء على لسانه: «رغم أن المعرفة تعتبر الكمال الذي لا يضارع، فإنها إذا لم تترجم إلى عمل فليس لها قيمة، ويمكن اعتبارها أسوأ من الجهل.

### صرامة الدين، الركود والإصلاح:

يمثل طول حكم «أورانج زاب» (١٦٥٨ - ١٧٠٧) انتصار الدين الإسلامي المتشدد الذي نهض بعد موت «أكبر» مباشرة. منذ عام ١٦٦٩ أمر حكام المقاطعات بتدمير المدارس والمعابد الهندوسية، وفي نفس الوقت كان يشجع التعليم الإسلامي بإنشاء مكاتب ومدارس واعطاء الطلبة منح تتناسب مع تقدمهم.

و«أورانج زاب» مثله مثل أكبر رجل عملى والتربية الجيدة  
تتلخص بالنسبة فيما هو نافع للحياة - إن الأمراء فى حاجة إلى  
معرفة واجباتهم تجاه شعوبهم، تاريخ بلادهم، جيرانهم والقوى  
العالمية .... ، ولكن ما يلقنوه لهم هو تعلم اللغة مثل اللغة العربية  
التي لا فائدة لها فى الحياة، وهى مضيعة للوقت، وهى فلسفة  
لألفاظ غامضة وخاوية، بدلا من تعلم كيفية مواجهة مصاعب  
الحياة. غير أن «أورانج زاب» لم يحقق فى الواقع رغباته فى  
إصلاح التعليم. أما العلماء فكانوا راضين بآرائهم الصارمة التي لا  
تتحرك.

ولقد حاول بعض الصوفية التوفيق بين الشريعة والبحث  
الباطنى وقد عرض شاه والى من دلهى (١٧٠٣ - ١٧٧٢) وكان  
قد تلقى تعليمه فى مكة والمدينة والعودة بالدولة إلى المبادئ  
الأولية للإسلام ، وفى القرن (١٩) جلب سيد أحمد (١٧٨٦ -  
١٨٣١) من رحلة الحج أفكار الوهابية وحاول أن ينقى الإسلام  
من عبادة القديسين ومن العدوى الهندية، وأعلن الحرب المقدسة  
ضد الانجليز والسيخ؛ وهكذا فإن الإصلاح الإسلامى فى الهند  
كان متجهاً نحو العودة إلى عصر ذهبي خيالى، وليس التحكم فى  
الظروف الجديدة على الصعيدين الاقتصادى والسياسى فى  
العالم.



## جزر جنوب شرق آسيا :

### بداية انتشار الإسلام :

دخل الإسلام جنوب شرق آسيا عن طريق التجارة، واتخذ انتشار الإسلام حركة بطيئة، وأخذ ذلك شكل سلمى أحياناً، وأحياناً أخرى تم بواسطة السلاح، وقد لعب التجار والصوفية دوراً موازياً؛ التجار فيما يخص الساحل حيث تحول الأمراء إلى الإسلام ربما لأسباب اقتصادية، أما الصوفية فكانوا بالدخل حيث لم تستسلم الثقافة الهندوسية البوذية إلا خطوة خطوة، ولم يستطع الإسلام أن يتوطين إلا عندما تأقلم مع الظروف المحلية، فكان هناك قطيعة واستمرارية بدرجات متفاوتة تبعاً للأوساط كما ورد في الأدب والفنون.

وتنتشر التربية الإسلامية عن طريق المدرسة، والكتب، والمسرح.. وكثير من النصوص في ذلك العصر كان لها هدف تعليمي فكانت إما تحتوى على قصص فيها عبرة للجمهور العريض، وإما تتوجه إلى الأمراء لتذكيرهم بواجباتهم، أو تتوجه للمسلمين بصفة عامة.

وظهر في هذه المرحلة دراسات تقنية عن الطب والتنجيم ومعرفة الحظ عن طريق قسّمات الوجه وتفسير الأحلام والموسيقى والعمارة.. الخ وكلها تحتوى على مجموعة من المعلومات مستمدة من ملاحظات وتكشف عن محاولة عقلانية في مرحلة تقترب من العلم.

والمدرسة هي الوسيلة الأساسية لنشر المعلومات وهم لا يطلقون عليها لفظ مدرسة، ولكنهم كانوا يستعملون لفظ «بزنترن دى سانتري» والتي تعنى باللغة الجاوية الطالب المتجول وهو من آثار العصر الهندوسى ، حيث كان الطالب يبحث عن العلم من معلم إلى آخر، و«البزناتري» غالباً ما تكون بمنأى عن القرية، وكان ملحق بها مسجد للصلاة وللدروس ومسكن للمعلم وداخلية للتلاميذ، ويحتوى التعليم على القانون وأصوله، التفسير القرآنى، السيرة، النحو....، ويقوم التعليم على أساس كتب عربية يقوم المعلم بإنشائها والتلاميذ يقومون بالترديد من خلفه، وبعد ذلك يشرحها المعلم باللغة المحلية.

وقد استغل الإسلام أيضاً مثل الهندوسية ولكن بدرجة أقل المسرح لنشر الإيمان. وفى جاوه لم يستطع أن يؤثر على فن العرائس الجلدية، ولكنه شجع تنمية «الواينج جاليج» حيث أصبح أبطالها هم أبطال الإسلام مثل الكسندرا» (والذى عرب إلى اسكندر). وأمير حمزه، عم النبى الذين حولوا العالم بالسلاح أو بالقدوة.

### مفترق الطرق فى القرن (١٩) :

بداية القرن (١٩) يشير إلى مرحلة جديدة فى انتشار الإسلام مع نمو وسائل النقل البحرى ضاعفت اندونيسيا التبادل مع المراكز العربية؛ مكة والمدينة حيث يستقر الحجاج لبضع سنوات

بغرض إكمال دراستهم، واتصلوا بحركة الإصلاح الوهابية، ونرى ثلاثة من الحجاج يطلقون عام ١٨٠٤ حركة غايتها تطهير الدين من تورطه مع الدين الوضعي، وقد تبع ذلك حرب أهلية، وأدى تدخل الهولنديين إلى تطوير الحرب إلى حرب قومية، وانضمت الجمعيات الدينية في الكفاح ضد الهولنديين، ورغم الهزيمة النهائية للأمير «ديبونجورو» (١٨٢٥ - ١٨٣٠) فإن الإسلام أخذ شكل الدين القومي في عيون الفلاحين المقهورين، وسوف تكون «البزاترن» أماكن للمقاومة الفكرية ضد الاستعمار وفي قلب هذه المدارس حيث يتعاش أبناء الطبقة الأرستقراطية وأبناء الفلاحين والتجار تتكون طبقة إجتماعية جديدة أسهمت في وحدة شبه الجزيرة الدينية، غير أن الإسلام استمر يحتوى على معتقدات قديمة كما نقل ذلك رحالة من جاوه الذي قام في جوله في الجزيرة في سنوات ١٨٦٠ - ١٨٦٥.

المواصفات	
عدد الصفحات : ٢٠٨ صفحة	طبع المتن : ٣ لون
عدد الملازم : ٢٦ ملزمة	ورق الغلاف : ١٨٠ جرام
مقاس الكتاب : $٨٢ \times ٥٧ \frac{١}{٨}$ سم	طبع الغلاف : ٤ لون
ورق المتن : ٧٠ جرام أبيض	